

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	شوال المكرم ١٤٣٣ هـ
العدد التاسع	سبتمبر ٢٠١٢ م

المشـرف العام — **عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک باسم:**	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک السنوي:**	في الهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ **تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١**

محتويات العدد

الافتتاحية

السيد نواب صديق حسن خان في حياته العائلية

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن الله عز وجل خلق السماوات والأرض، وخلق مخلوقات كثيرة، منها ما نعلمها ومنها ما لا نعلمها، والإنسان مخلوق من مخلوقات الله، وقد من الله عليه بأن أكرمه من بين مخلوقاته وجعله من أشرف المخلوقات فقال عز من قائل:

{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا}. (سورة الإسراء: ٧٠)

ثم شرف من بينهم أهل الدين والتقوى وأهل العلم والمعرفة:

{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. (سورة الحجرات: ١٣)

{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}. (سورة الزمر: ٩)

{يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}. (سورة المجادلة: ١١)

ويحتفظ التاريخ الإسلامي الطويل في ذاكرته بعدد غير قليل من العلماء الأفاضل الذين هم ـ حقا ـ أعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين عرفوا حقوق الله وحقوق عباده وراعوها حق رعايتها، وخلفوا ورائهم أعمالا وآثارا هي مفخرة الأجيال عبر القرون والأعصار.

ومن بين هذه الشخصيات الفذة التي تركت بصماتها على العلم والمجتمع شخصية العلامة الإمام النواب أبو الطيب صديق حسن خان بن السيد أولاد حسن القنوجي الحسيني البخاري رحمه الله ونحن نحتفل بهذه الشخصية(*) تجديدا لآثارها وإحياء لذكراها وتنويها بمآثرها وأداء لبعض ما يجب علينا نحوها، عسى أن ينفعنا الله بتراثه ويرزقنا العلم والعمل والإخلاص:

أحب الصالحين ولست منهم   لعل الله يرزقني صلاحا

(*) قد أعد هذا المقال للندوة العلمية حول موضوع: "النواب صديق حسن خان القنوجي البخاري: حياته وأعماله" المنعقدة في ٣٠/ربيع الأول وغرة ربيع الآخر ١٤٢٧هـ = ٢٩—٣٠/ابريل ٢٠٠٦م بالجامعة السلفية.

بدء حياته الاجتماعية:

لما استقر الإمام النواب صديق حسن خان في بوفال في رحلته الثالثة في بداية عام ١٢٧٦هـ، على دعوة من الملكة سكندره بيغم وأمضى نحو سنة ونصف في خدمة المملكة وخدمة الدين والعلم أدرك مسؤولو الدولة مدى جهده وإخلاصه واستقامته، ومن بينهم الشيخ جمال الدين بن وحيد الدين مدير شؤون الدولة، وعقد معه قران ابنته الأرملة "ذكية بيغم" في ٢٥/٨/١٢٧٧هـ (١٨٦١م). ولم تزل في عقده حتى توفاها الله عز وجل في غرة رمضان عام ١٣٠١هـ = ١٨٨٤م، وقد رزق الله النواب من هذه الزوجة أربعة أولاد: ذكرين وأنثيين، توفيت إحدى الأنثيين في المهد، وعاش البقية إلى آجالهم المقدرة. وفيما يلي أسماؤهم مع سنوات مواليدهم:

١. السيد نور الحسن خان الطيب: المولود في: ٢١/رجب عام ١٢٧٨هـ الموافق ٢٢/يناير عام ١٨٦٢م.
٢. السيدة صفية بيغم: المولودة في ٢٧/ربيع الأول عام ١٢٨٠م الموافق ١١/سبتمبر عام ١٨٦٣م.
٣. السيد علي حسن خان الطاهر: المولود في ٤/ربيع الآخر عام ١٢٨٣هـ الموافق ١٦/أغسطس ١٨٦٦م.
٤. السيدة حفصة بيغم: المولودة في ٢٤/ذي الحجة عام ١٢٨٤هـ.

وقد توفيت هذه الأخيرة بعد ٢٨ يوما من ولادتها (في ٢١/محرم عام ١٢٨٥هـ) (إبقاء المنن ص: ١٢٩)

زواجه الثاني:

بعد أن أمضى السيد النواب رحمه الله نحو عقد من الزمن في ولاية بوفال وهو متزوج وعنده أولاد، رغبت الملكة السيدة شاهجهان بيغم بنت النواب جهانغير محمد خان في الزواج من السيد القنوجي، وكانت قد عرفت فيه الصدق والإخلاص والعلم والدين إلى جانب النظرة الصائبة في إدارة شؤون الدولة، فتم عقد النواب رحمه الله مع الملكة في ٨/شوال عام ١٢٨٧م (الموافق عام ١٨٧٠م) ولم تزل الملكة في عقده إلى أن فارق الدنيا (عام

١٣٠٧هـ = ١٨٩٠م) وعاشت الملكة بعده لاثنتي عشرة سنة تقريبا حيث وافتها المنية في ٢٨/صفر عام ١٣١٩هـ الموافق ١٦/ يونيو عام ١٩٠١م.

وبذلك نستطيع أن نقول إن عائلة النواب صديق حسن خان رحمه الله تتكون من زوجتين وابنين وبنت واحدة.

حياته العائلية وما تتميز به:

إن المراجع التي تترجم للنواب البوفالي تحتوي على معلومات وافرة حول مختلف نواحي حياته، وتلقي أضواء كافية على حياته العائلية خاصة، وبعض هذه المراجع من تأليف العلامة البوفالي نفسه، وبعضها الآخر من أبنائه وأحفاده وأزواجه وأقربائه، وأهل العلم والتحقيق من غير هؤلاء وأولئك، وأداء للأمانة العلمية نحاول أن لا نكتفي بإيراد ما سجله العلامة بقلمه في هذا الموضوع، بل نترك المجال أيضا لأفراد عائلته ليدلوا ابدلوهم ويتحدثوا عما شاهدوه وما عوملوا به من العلامة، ليكون الكلام أكثر واقعية، وبعيدا عن الادعاء الفارغ ولا يكون محمولا على محض حسن الظن.

ومما يجدر التنبه له هنا أن المقياس المعتمد للحكم على أي عمل بالقبول أو الرد أو بالحسن أو القبح هو الشرع الحنيف، لا كلام فلان وفلانة، ولا العادات والتقاليد، وقد لمست الحاجة إلى هذا التنبيه لأن الحساد وأصحاب الأطماع الخبيثة كانوا يبذلون قصارى جهدهم لتوتير العلاقات بين العلامة البوفالي وبين عائلته، ويخلقون الدسائس والمكائد والمؤامرات للنيل من شخصيته الكريمة، ويفترون عليه الأقاويل والأكاذيب، وينسبون إليه ويذيعون عنه ما هو بريء منه براءة الذئب من دم يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثاني الذي ينبغي أن نتنبه له هنا هو أن شخصية العلامة البوفالي كغيرها من الشخصيات المثالية - تتسم بكافة الأخلاق الجميلة والخصائل الحميدة التي أكد عليها الشرع الحنيف وجاء المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لإتمامها وإكمالها حسب قوله "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وقد نطق بفضله وخلقه القاصي والداني وأثنى على مكارم أخلاقه ومحامد خصائله جمع كبير من أهل العلم والفضل، فها هو معاصره الشيخ عبدالحي الحسني رحمه الله يصفه بما يأتي:

"... وكان غاية في صفاء الذهن وسرعة الخاطر، وعذوبة التقرير وحسن التحرير، وشرف الطبع وكرم الأخلاق، وبهاء المنظر وكمال المخبر، وله من الحياء والتواضع ما لا يساويه فيه أحد، ولا يصدق بذلك الا من تاخمه وجالسه، فإنه كان لا يعد نفسه إلا كأحد الناس، وهذه خصيصة اختصه الله بها سبحانه، ومزية شرفه بالتحلي بها، فإن التواضع مع مزيد الشرف أحب من الشرف مع التكبر، ثم له من حسن الأخلاق أوفر حظ وأجل، قل أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمته". (نزهة الخواطر: ١٩٢/٨)

وإذا كان صفاء الذهن وشرف الطبع وكرم الأخلاق من سماته الغالبة وصفاته اللازمة فمن البديهي أن تكون لهذه الصفات آثار ملموسة في حياته العائلية، فما ينطبق على حياته العامة ككل لا شك ينطبق على حياته الاجتماعية كجزئ، وهذا الاستنباط قد يبدو ـ بادئ ذي بدء ـ نظريا محضا، ويوهم البعض أنه يمكن أن لا يصدقه الوقائع والحقائق، ولكننا سوف نرى ـ بمشيئة الله تعالى ـ أن السيد بذل كافة الجهد وسعى كل السعي أن تكون حياته العائلية مرآة صادقة لتعاليم الإسلام، وتكون أسرته أسرة مسلمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولا يعني هذا أن حياته العائلية ظلت بعيدة عن الأكدار والمشكلات، وأنه لم يواجه ما يكدر صفو حياته الأسرية، كلا، إنه واجه ـ في هذا السبيل ـ الصعوبات، وقابل التحديات، ولاقى المحن والابتلاءات، ولكنه لم يستسلم لها أبدا، بل صبر واحتسب، وجاوز هذه الابتلاءات بحنكة وروية، وهو في كل ذلك مستمسك ومعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولإلقاء بعض الضوء على الجوانب المشرقة من حياته العائلية اخترت أن أتحدث حول العناوين الجانبية التالية:

١ـ تأهيل نفسه ماديا قبل الدخول في غمار الحياة العائلية
٢ـ الاستجابة للنداء المصطفوي: فاظفر بذات الدين
٣ـ الالتزام الدقيق لأداء نفقات الزوجات رغم استغنائهن
٤ـ اجتنابه الشديد من التصرف في أملاك زوجاته رغم رغبتهن في ذلك
٥ـ صفاء حياته الزوجية من مكدرات العيش والخلافات والنزاعات
٦ـ انتباهه في أمر تربية الأولاد

وفيما يلي شيء من التفصيل لهذه النقاط:

تأهيل نفسه ماديا قبل الدخول في غمار الحياة العائلية:

كان السيد ـ رحمه الله ـ نشأ يتيما، وقد وقع على كواهله كفالة أمه وأخواته، فعانى بسبب ذلك مشقة كبيرة وهو صابر محتسب، يقول:

"ليس هناك أي صديق يعاونني حين تشتت البال ولا مواس فأجد عنده المأوى، ومنذ أنا شعرت رأيت اليتم من كل جانب، وليس درهم ولا دينار، ولا معين لي من الأسرة، ولا سبيل للحياة الا الكسب مع أنه لم يكن هناك أي ذريعة لحصول المعاش، وكان جل التكاليف على رأسي لصغيرهم وكبيرهم فكيف أنا وسوء الحال". (السيد صديق حسن القنوجي للدكتور أختر جمال لقمان ص: ٤١، نقلا عن الروض الخضيب: ١٦٤)

ومع ذلك كله لم يقدم ـ رحمه الله ـ على الزواج إلا بعد استعداده ماديا كما يقول في إبقاء المنن:

"إنني لأذكر أنني لم أتزوج إلا بعد أن تأهلت ماديا عن طريق التوظف والاكتساب باليد والجوارح ثم لم أزل ـ من بعد العقد ـ أؤدي إلى الزوجة مصارفها من تحت ما في يدي..". (إبقاء المنن ص: ٢٢٤)

وذلك استشعارا بمسؤولية القوامة والإنفاق التي جعلها الله للزوج في الحياة العائلية بقوله: {الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم}. (سورة النساء: ٣٤)

وهذا يدل على مدى تورعه مما قد يحدث من التفريط في الجانب المادي، الأمر الذي يمكن أن ينسبه إلى التقصير ويوقعه في الحرج ويسبب إلى المؤاخذة أمام الله عز وجل، كيف لا وقد جاء التهديد في هذا الخصوص على لسان المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في قوله: "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت". (سنن أبي داود: ١٦٩٢، صحيح الجامع الصغير: ٤٤٨١)

(يتبع)

***

عبر ومواعظ:

اللسان وما فيه من العجائب

(١)

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

هل فكر أي واحد منا فيما سخر الله له، بل أقربها إليه وأكثرها فائدة له، وهو اللسان، الذي يعبّر به عما يريد، ووظيفته، أو بعض وظائفه، وهو أصغر عضو فيه، وما فيه من مهمات كبيرة، وكثيرة، وما يؤديه من عمل؟.. وماذا يحصل له لو تعطل لسانه عن النطق يوما واحدا، ثم ما إحساسه في ذلك اليوم؟

فقد جرب جزءا من ذلك شخص مع مجموعة من أصدقائه، وهم في رحلة، إذ من ممازحته لصديق له كثير الكلام دبّر الأمر مع رفقائه، فأتوا بصمغ وهو نائم، وختموا بها فمه، وكان نومه ثقيلا، وختموا بالصمغ ما فيه أصابعه، فلما استيقظ كاد يجن مما وجد عليه حالته، ولا يقدر على التعبير، ولا يدري عن سبب ما حصل له، ومرت به حالة شديدة من الهستيريا، فأدرك واحد منهم أهمية الإسراع في إنهاء هذا المزاح الثقيل، الذي كاد يذهب بعقل صاحبهم.

بهذا فإن الجواب عن السؤال عن مهمات اللسان، وما فيه من فوائد ومصالح، لعله سيكون ظاهرا بأن اللسان عضلة مهمتها النطق. وتختلف ألسنة البشر في المعمورة بحسب لغاتهم التي لا يحصيها إلا الله سبحانه، فإذا كان يقال عن الهند وحدها بأن فيها أكثر من ٤٠٠ لغة فكم هي اللغات في العالم؟!

ثم كم عدد اللغات التي اندثرت؟ لأنه جاء في فقه اللغة أن النطق فكر متجدد، ولو عُزل أطفال في سنواتهم الأولى عن الناس، وجاء وقت النطق لاخترعوا الكل ما حولهم اسما جديدا، لأن البشر قد أودع الله فيهم حب التعبير بهذا اللسان الناطق، يقول سبحانه: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم} (٢٢ سورة الروم). ولغات العرب من هذا النوع، كما قال ابن قتيبة في فقه اللغة، فقد حفظ الله أفصحها، وهي لغة قريش، بالقرآن الكريم، حيث إن أسواق العرب في الجاهلية، كانوا يتدارسون فيها الفصاحة والبلاغة، فحازت لغة قريش الأولوية.

ووسيلة التعبير هو اللسان، هذه البضعة الحمراء اللون، عند كل فرد، أودعه الله فيه وهو في بطن أمه، قبل الولادة. ولما خلق الله آدم أبا البشر علمه الله الأسماء كلها، ولما عرضت على الملائكة عجزوا عنها، وقالوا: {سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا} (٣٢ سورة البقرة). والأنبياء أرسلهم الله كل واحد بلسان قومه، أي لغتهم التي ينطقون بها.

وقد اهتم رجال بفقه اللغة، ليأخذوا أصل التسمية، يقول الأصمعي ضمن رحلاته في البادية، في البحث عن أصل التسمية، لأنه رأى هو ومن على شاكلته أن الأسماء تختلف، والباحث يلمس هذا في قولهم: واسمه كذا باللغة (ويسمي القبيلة). يقول الأصمعي إنه جاء ضيفا عند قبيلة في جزيرة العرب، فأضافوه، وقدموا له مرقا فقال: ما اسم هذا عندكم؟ قالوا: الحميم، فقال: هذا اسمه وهو حار، فما اسمه إذا برد؟ فقال الأعرابي لا نتركه يبرد حتى نجعل له اسما.

لذا فإن الغريزة عند الطفل، الذي وهبه الله لسانا، يعبر به عن نفسه، تجعله يخترع دلالات بلسانه قبل أن يعرف المعنى الذي يريد، فيقول عن كل شيء غير حسن (كخّه) والقبيح (يعّه)، وهكذا، يخترع كلمات تعبر عن مفهومه. وقالوا عن سكان الغابات إنهم يتفاهمون مع حيواناتها والوحوش بنغمات قريبة من نطقها.. فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وقد علم الله سليمان عليه السلام منطق الطير، فقد روي أنه خرج لصلاة الاستسقاء، وخرج معه كل شيء، فرأى في طريقه نملة رافعة يديها، فقال للجمع الذي خرج: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم، يعني هذه النملة التي أجاب الله دعاءها، فأُمطروا، ونقل لهم دعاءها، ذلك أن الله سبحانه قد جعل اللسان وسيلة لكل كائن ليعبّر به، ويدعو الله به، كما أخبرنا سبحانه: {ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون} (النور: ٤١).

فهذا اللسان هو أقوى عضلة إرادية في الجسم، وله في الإنسان وظائف كثيرة، كالتذوق، وتقليب الطعام أثناء مضغه في الفم، والمساعدة في البلع، حيث يعطي البلعوم إشارة عاجلة بالانفتاح. وأبرز وظائفه الكلام. ألم تر أنه يعمل لنا أعمالا كثيرة، لا ندرك كنهها، فالطبيب مثلا في معالجته الطفل يطلب منه أن يفتح فمه ليكشف على اللسان، ومنه يعرف المرض، ويضع حبوبا أو شرابا على اللسان، فيدفعه اللسان في جوف المريض، سواء كان طفلا لا يدري أو كبير يحس، وهذا جزء بسيط من مهمات اللسان الكثيرة، حيث يختبر ما يدخل الفم، بما أودع الله في هذا اللسان

من حاسة التذوق، بما يسمى قنوات التذوق، فيسمح للنافع بالمرور، ويمنع الضار، ويرسل ما يمكن معالجته للأسنان، ويمنع غير ذلك، فهو حارس أمين بما قدره الله له.

وهذا اللسان لو تعرّض لقطع أو جرح أو عضته الأسنان عفويا فإنه لأهميته من أسرع عضلات الجسم التحاما. وأذكر بالمناسبة عندما كنا أطفالا، ولم يتوافر العلاج الحديث، سقط زميل لنا على وجهه، فعض لسانه وانقطع جزء منه متعلقا، فعولج بوصفة شعبية، التحم بها — بتوفيق الله — سريعا، فتأثر نطقه أياما قليلة، وبرئ، وفي المدرسة الابتدائية صار عليم اللسان بعد هذا الحادث.

واللسان يتركب من مجموعة من العضلات: خارجية: تربط بينه وبين أجزاء الفم الأخرى. وداخلية: وهي مختلفة الأشكال فتعطي اللسان القوة والمرونة.

يقول ابن قيم الجوزية — رحمه الله — في كتابه التبيان في أقسام القرآن: وأما الفم فمن العجائب، وباب الطعام والشراب والنفس والكلام، ومسكن اللسان المناطق، الذي هو آلة العلوم وترجمان القلب، ورسوله المؤدي عنه. ولما كان القلب ملك البدن، ومعدنا للحرارة الغريزية، فإذا دخل الهواء البارد، وصل إليه فاعتدلت حرارته، وبقي هناك ساعة، فسخن واحترق، فاحتاج القلب إلى دفعه وإخراجه، فجعل أحكم الحاكمين إخراجه سببا لحدوث الصوت، في الحنجرة والحنك واللسان والشفتين والأسنان مقاطع مختلفة، وبسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض، ثم ألهم سبحانه العبد تركيب تلك الحروف، ليؤدي بها عن القلب ما يأمر به.

فتأمل الحكمة الباهرة حيث لم يضع سبحانه ذلك النفس المستغنى عنه، المحتاج إلى دفعه وإخراجه، بل جعل فيه إذا استغنى عنه منفعة ومصلحة، وهي من أكمل المصالح والمنافع، فإن المقصود الأصلي في النفس هو اتصال الريح البارد إلى القلب، فأما إخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة الفاسدة، فصرف ذلك سبحانه إلى رعاية مصلحة ومنفعة أخرى، وجعله سببا للأصوات والحروف والكلام، ثم إنه سبحانه جعل الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق، والسعة والخشونة والملاسة، لتختلف الأصوات باختلافها، فلا يتشابه صوتان كما لا تتشابه صورتان، وهذا من أظهر الأدلة.

فإن هذا الاختلاف، الذي بين الصور والأصوات، على كثرتها وتعددها، قلما يشتبه به صوتان أو صورتان، ليس في الطبيعة ما يقتضيه، وإنما هو صنع الله الذي أتقن كل شيء وأحسن كل

شيء خلقه، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، إذ ميز سبحانه بين الأشخاص بما يدركه السمع والبصر لدى كل منهم. أ.هـ. كلامه.

ومن هذه العبارة عنده نرى أن الله وهب بعض المكفوفين حاسة قوية في معرفة الناس بأصواتهم مهما طالت المدة، أكثر من حاسة النظر، لأن الأشخاص تتغير معالم صورهم، مع طول الزمن، وبما يطرأ على الملامح، ما عدا الصوت، وأذكر نموذجا لذلك بمن فقد بصره صغيرا، وعوضه الله البصيرة، بالشيخ عبد العزيز بن باز — رحمه الله -، الذي لازمته كثيرا، فقد كان يأتي إليه رجال طالت غيبتهم عشرات السنين، فيعرفهم بنطقهم، ويسألهم عن الجيران والعائلة والأقارب فردا فردا، ويرد إذا ذكر من مات بالترحم عليه، ولما سألته مرة عن رجل تحدّث معه قال: إنه في مثل سنه، وإن أسرته جيران لنا يوم كنت أدرس على المشايخ في حلقات مسجد دخنة في أوائل الخمسينيات من القرن السابق، ولما حسبته إذا هو قرابة ستين سنة، ما رآه ولا سمع صوته، ومع ذلك عرفه منذ تكلم، وهذا مصداق لما ذكره ابن قيم الجوزية آنفا — رحمه الله -: بأنه قلما يشتبه صوتان.

ثم قال ابن القيم: وأودع سبحانه اللسان من المنافع: منفعة الكلام — وهي أعظمها — ومنفعة الذوق والإدراك، وجعله دليلا على مزاج القلب وانحرافه، كما جعله الله دليلا على استقامته واعوجاجه، فترى الطبيب يستدل بما يبدو للبصر على اللسان من الخشونة والملاسة، والبياض والحمرة والتشقق وغيرها، على حال القلب والمزاج، وهو دليل قوي على أحوال المعدة والأمعاء، كما يستدل السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب، فيبدو عليه صحة القلب وفساده معنى وصورة.

وجعل سبحانه اللسان عضو الحميا، لا عظم فيه ولا عصب، لتسهيل حركته، ولهذا لا تجد في الأعضاء من لا يكترث بكثرة الحركة سواه، فإن أي عضو من الأعضاء إذا حركته كما تحرك اللسان لم يطق ذلك، ولم يلبث أن يكل ويخلد إلى السكون إلا اللسان.

وأيضا فإنه من أعدل الأعضاء وألطفها، وهو في الأعضاء بمنزلة رسول الملك ونائبه، فمزاجه من أعدل الأمزجة في البدن، ويحتاج إلى قبض وبسط، وحركة في أقاصي الفم وجوانبه، فلو كان فيه عظام أو عصب، لم يتهيأ منه الكلام التام، ولا الذوق التام، فكونه الله سبحانه كما اقتضاه السبب: الفاعلي والغائي. والله أعلم. (٣٠٩—٣١١).

(للبحث صلة)

***

فقه السنة

شرح آخر حديث صحيح البخاري

فضيلة الشيخ أحسن جميل بن عبد البصير

يقول إمام المحدثين أمير المؤمنين في الحديث أبوعبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي رحمه الله في صحيحه في كتاب التوحيد: "باب قوله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن، وقال مجاهد: القسطاس: العدل بالرومية، و يقال: القسط مصدر المقسط وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر.

حدثنا أحمد بن إشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلي الرحمن خفيفتان علي اللسان ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم".

تفسير الآية المذكورة في الترجمة: الموازين: جمع ميزان، فذكره بلفظ الجمع إما يكون حقيقة أو مجازا، فإن كان الجمع حقيقة فهو إما باعتبار تعدد الأشخاص أو باعتبار تعدد الأعمال، ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم فيكون مجازا، كما في قوله تعالى: "كذبت قوم نوح المرسلين" مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد، يقول ابن حجر: "والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا". (الفتح: ٥٤٧/١٣)

القسط: معناه العدل، وهو وصف للموازين، فهو مفرد بمعنى الجمع لكونه مصدرا، فالمعنى: ونضع الموازين ذوات القسط.

وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله في معنى القسط قولين، الأول: قول مجاهد إنه لفظ رومي مأخوذ من القسطاس بمعنى العدل، والثاني قول اللغويين: إنه مصدر من الإقساط، فالمقسط هو العادل، والقاسط المتعدي بمعنى الجائر.

وبهذين المعنيين جاء في القرآن الكريم، فبالمعنى الأول قوله تعالى: {إن الله يحب المقسطين} وبالمعني الثاني قوله تعالي: {وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا}.

واللام في قوله تعالى: (ليوم القيامة) للتعليل مع حذف المضاف أي لحساب يوم القيامة. وقيل: بمعنى "في". وقيل للتوقيت.

مراد الإمام البخاري رحمه الله من الترجمة:

لقد استدل الإمام البخاري رحمه الله بالآية الكريمة على أن الله يضع الميزان يوم القيامة فتوزن فيها أعمال الإنسان و أقوالهم، وهذا الميزان يرفع و يخفض، ولبيان ذلك بوب هذه الترجمة فقال استنادا إلى الآية: "وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن" يعني: يوم القيامة. وبذلك رد على المعتزلة ومن وافقهم الذين ينكرون الميزان بناءً منهم علي أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لاتقوم بأنفسها، والحديث المذكور في الباب يؤيد موقف الامام البخاري إذ أن الحديث يشير إلي أن بعض أعمال الإنسان وأقولهم وإن كانت في الظاهر خفيفة لكن تكون ثقيلة في الميزان الذي يضعه الله يوم القيامة، ومن ذلك هاتان الكلمتان اللتان يحبهما الله، وبذلك صار الحديث مطابقا للترجمة.

والظاهر من قول الإمام البخاري أن جميع الناس توزن أعمالهم مؤمنهم و كافرهم، لكن خص منه طائفتان، فمن المؤمنين من لا سيئة له و له حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، ومن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة قط فهذا يقع في النار بغير حساب، ومن عدا هذين من المؤمنين والكفار يحاسبون وتعرض أعمالهم على الموازين.

فائدة: اتفق السلف على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال فيرتفع وينخفض. قال ابن حجر: "وحكى حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال ردا على من أنكر الميزان ما معناه: قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي صلى الله عليه وسلم فقد رد على الله عز وجل". (الفتح: ١٣/٥٤٧)

لطائف الإسناد: ورد في السند اسم صحابيين: أبو زرعة وهو ابن عمرو بن جرير، وأبو هريرة وهو عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥٣٧٤ حديثا.

ورجال الإسناد ما بين أحمد بن إشكاب وأبي هريرة كوفيون.

شرح الحديث: المجموعة الأولى إلي (الميزان) خبر، وسبحان الله وبحمده ... الخ مبتدأ، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا.

"كلمتان" تثنية كلمة، واطلاقها علي الكلام مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة، وهي تطلق علي ما يتلفظ باللسان، وعلي ما يكتب علي الورقة. فدل ذلك علي أن القول والعمل كلاهما يوزن.

"حبيبتان" أي إنهما محبوبتان عند الله، لأن فيهما المدح بالصفات السلبية التي يدل عليها التنزيه وبالصفات الثبوتية التي يدل عليها الحمد، وحيث إن الأشاعرة ينكرون صفة المحبة لله

فلذلک يقول ابن حجر في معناه: "المراد أن قائلها محبوب لله، ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم". (فتح الباري: ٢١٢/١١، الدعوات، باب فضل التسبيح) وهذا مخالف لقول السلف وموقفهم في باب أسماء الله وصفاته، فليتنبه إلي ذلک.

وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكثير.

"خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان" قال شيخنا عبيد الله المباركفوري: "أي تجريان عليه بالسهولة للين حروفهما، فالنطق بهما سريع، وذلک لأنه ليس فيهما من حروف الشدة المعروفة عند أهل العربية". (مرعاة المفاتيح: ٤٥٢/٧) ووصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب. ففيه إشارة إلي قلة كلامهما وأحرفهما ورشاقتهما، وأيضا فيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان كثقل الشاق من التكاليف، وقد نقل الحافظ ابن حجر عن بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنک ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلک خفت، فلا يحملنک خفتها على ارتكابها. (الفتح: ٥٥٠/١٣)

"سبحان الله" معناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريک والصاحبة وجميع ما يلزم منه النقص كالولد والوالد وغير ذلک من العيوب الظاهرة والباطنة. ويراد بالتسبيح جميع ما يذكر به الله الوارد في الكتاب والسنة. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "مدارسة العلم تسبيح". (اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٦)

وسبحان اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره: سبحت الله سبحانا. ولا يستعمل غالبا إلا مضافا، فهو مضاف إلى المفعول أي سبحت الله، ويجوز أن يكون مضافا إلي الفاعل، أي نزه الله نفسه، والأول هو المشهور.

"وبحمده" قال الحافظ في الفتح: قيل الواو للحال والتقدير: أسبح الله متلبسا بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل عاطفة والتقدير أسبح الله وأتلبس بحمده، ويحتمل أن يكون الحمد مضافا للفاعل والمراد من الحمد لازمه أو ما يوجب الحمد من التوفيق ونحوه، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم والتقدير، وأثنى عليه بحمده فيكون "سبحان الله" جملة مستقلة و "بحمده" جملة أخرى. وقال الخطابي في حديث: سبحانک اللهم ربنا وبحمدک أي بقوتک التي هي نعمة توجب علي حمدک سبحتک، لا بحولي وبقوتي، كأنه يريد أن ذلک مما أقيم فيه السبب مقام المسبب. (٥٥٠/١٣-٥٥١)

فالتسبيح إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام، وترك التقييد مشعر بالتعميم، والمعنى أنزه الله عن جميع النقائص وأحمده بجميع الكمالات. (كلام الحافظ بتصرف يسير)

وفي الحديث حث للمواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته، وأن جميع التكاليف شاقة على النفس، لكن هذه سهلة لسهولة ألفاظ ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة، وفيه إثبات صفة المحبة لله تعالى، وأنه يحب عباده للأعمال الصالحة والذكر والتسبيح، وفيه إثبات الميزان يوم القيامة، وأن أعمال العباد وأقوالهم توزن فيه، وفيه إثبات الثقل والخفة للميزان، وفيه الترغيب إلى ذكر الله وتسبيحه وتحميده، وفيه بيان تنزيه الله جل وعلا من النقائص والعيوب، وفيه إثبات التحميد والتعظيم لله تبارك وتعالى، وفيه بيان جواز السجع في الدعاء إذا لم تكن في الدعاء كلفة، وفيه إثبات تحصيل الثواب الجزيل على العمل القليل إذا كان خالصا لله وموافقا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن المنير رحمه الله: قلت: رضي الله عنك! جمع البخاري في هذه الترجمة بين فوائد: منها: وصف الأعمال بالوزن.

ومنها: إدراج الكلام في الأعمال، لأنه وصف الكلمتين بالخفة على اللسان، والثقل في الميزان، دل أن الكلام عمل يوزن.

وقد ورد في الحديث ما يدل على استحباب ختم المجالس بالتسبيح وأنه كفارة لما لعله يتفق في أثناء الكلام مما ينبغي محوه، وهذا نظير كونه بدأ كتابه بحديث: "الأعمال بالنيات" فكأنه تأدب في فاتحته وخاتمته بآداب السنة والحق.

فالأدب في الابتداء إخلاص القصد والنية، وفي الانتهاء مراقبة الخواطر، ومناقشة النفس على الماضي، والاعتماد، في تكفير ما لعله يحتاج إلى تكفير بما جعله الشرع مكفراً للهفوات، مخلصاً للحسنات من النزعات الداخلة في حيز الفوات. والله أعلم. (المتواري على أبواب البخاري، ص: ٢١٥)

لطيفة في ترتيب التراجم للبخاري: بدأ الامام البخاري كتابه بحديث "إنما الأعمال بالنيات" إخبارا بأن الأعمال في الدنيا لا تقبل عند الله إلا بالإخلاص. وختم بالبيان بأن الأعمال توزن يوم القيامة مشير إلى أنه إنما يثقل منها ما كان خالصا لله جل وعلا.

هذا ما تيسر لي الجمع في هذا الحديث العظيم المبارك.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، آمين.

***

الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية

(٤-٤)

الأستاذ سهيل حسن عبد الغفار

الفصل الثالث: دور القضاء تجاه هذه الفتن:

فيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الأحكام الصادرة ضد غير المسلمين:

عندما استعمرت بريطانيا الهند نفذت عام ١٨٦٠م دستورها الإنجليزي، وعندما حصلت عدة قضايا إهانة الرسول صلى الله عليه وسلم وأدين فيها غير المسلمين وقدموا للمحاكم ولم يكن هناك قانون صارم يردعهم من ارتكاب هذه الإهانات، وعندما قدم المتهم "راجپال" أمام القضاء الإنجليزي لم يكن لديهم إلا المادة ١٥٣—ألف التي تنص على أن أي شخص يثير عواطف العداوة أو النفور أو يحرض الجماعات المختلفة من رعايا جلالة الملكة في الهند ضد الآخر شفويا أو كتابة أو إشارة أو بأية طريقة أخرى سوف يكون معرضا لعقوبة سجن لمدة سنتين أو غرامة مالية أو عقوبتين معا.

وفي ضوء هذا القانون لم يستطع القاضي الإنجليزي معاقبة المتهم فاشتاط المسلمون غضبا، وعند ذلک أقدم "علم الدين" على قتل هذا المجرم، عندما رأى الإنجليز عدم صلاحية قوانينهم عدلوا إرضاء للمسلمين في القانون الجنائي الهندي بما يلي:

المادة ٢٩٥—ألف: أي شخص إذا أقدم على إهانة مذهب جماعة من رعايا جلالة الملكة في الهند أو عقائدهم أو حاول الإهانة عمدا وبقصد سيئ حتى يثير عواطفهم فإنهم سوف يكون معرضا لعقوبة سجن لمدة سنتين أو غرامة مالية أو عقوبتين معا.

وقد عوقب بعد ذلک المتهمون بهذه العقوبة، والجدير بالذكر أن نفس هذا القانون طبق في باكستان أول الأمر بتعديل جملة "من رعايا جلالة الملكة في الهند" بجملة "المواطنين

الباكستانيين" فقط [١]، ولكن بعد احتجاج المسلمين وإهانة مستمرة من القاديانيين وغيرهم اضطرت الحكومة سن قوانين تنص على عقوبة الموت لمن ارتكب هذه الجريمة ولا تزال الحكومات الغربية وجمعيات حقوق الإنسان العالمية تطالب بإلغاء هذا القانون وصدق الله إذ قال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}. [٢]

المبحث الثاني: الأحكام الصادرة من المحاكم الباكستانية ضد القاديانية:

أولا: المحكمة الشرعية الفيدرالية عام ١٩٨٤م:

لقد حكمت المحكمة الشرعية الفيدرالية برئاسة القاضي فخر عالم وعضوية كل من القاضي شودري محمد صديق والقاضي الشيخ ملك غلام علي والقاضي الشيخ عبد القدوس القاسمي [٣] بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٨٤م حكما تاريخيا بحيث أصبحت القاديانية أقلية غير مسلمة. وأهم نقاط الحكم هي:

١- إن كل من لا يؤمن بعقيدة ختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو ادعى النبوة لفظا أو معنى أو اعتبر مدعي النبوة رجلا مصلحا فإنه يعتبر غير مسلم خارجا عن دائرة الإسلام.

٢- باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة يحق لهم اختيار نوابهم في البرلمان ويعاملون في ذلك معاملة المسيحيين والهنادكة والسيخ والبوذيين والمجوس.

٣- ولا يحق لأحد من غير المسلمين أن يستعمل المصطلحات الخاصة لنفسه أو لغيره مثل أم المؤمنين، أهل البيت، الصحابة، الخلفاء الراشدون، أمير المؤمنين، خليفة المؤمنين، خليفة المسلمين أو يسموا معبدهم مسجدا.

٤- لا يحق للقاديانيين أن يصفوا أنفسهم مسلمين، ولا يحق لهم الدعوة إلى نحلتهم ولا التشهير بها.

٥- إن المتنبئ الكذاب الميرزا غلام أحمد القادياني قد ادعى النبوة، كما ثبت من كتبه، بعد النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد ختمت به النبوة والرسالة، فلا يحق لأحد أن يدعي النبوة بأي صورة من الصور.

---

[١] محمد إسماعيل، ناموس رسالت وقانون توهين رسالت، ص ٣٢٤-٣٢٦.

[٢] سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

[٣] الجدير بالذكر أن قانون المحكمة الشرعية الفيدرالية ينص على تعيين القضاة من العلماء المؤهلين في المحكمة مع القضاة المدنيين، وكذلك في محكمة الاستئناف الشرعية في المحكمة العليا.

وقد حكمت المحكمة بعدة عقوبات في جرائم مختلفة منها عقوبة الموت أو السجن المؤبد ثم عدل في القانون وبقيت عقوبة الموت فقط. [١]

ثانيا: محكمة الاستئناف الشرعية (المحكمة العليا) عام ١٩٨٨م:

برئاسة القاضي محمد أفضل ظله وعضوية كل من القضاة: د. نسيم حسن شاه وشفيع الرحمن والشيخ محمد كرم شاه الأزهري والشيخ محمد تقي العثماني، حكمت المحكمة بإقرار حكم المحكمة الشرعية الفيدرالية وردت دعوى القاديانيين بالاستئناف. [٢]

ثالثا: المحكمة العالية لاهور (١٩٨٧م):

برئاسة القاضي محمد رفيق تارر بحيث حكم بمنع القاديانيين استعمال الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله " لأنفسهم، لأنه قد ثبت بأنهم يعتقدون باسم محمد متنبئهم الكاذب. [٣]

رابعا: المحكمة العالية لاهور (١٩٨١م):

برئاسة القاضي گل محمد خان بحيث حكم بمنع القاديانيين اعتبار أنفسهم فرقة من فرق المسلمين أو تسمية أنفسهم مسلمين في المستندات الرسمية. [٤]

خامسا: المحكمة العالية لاهور (١٩٨١م):

برئاسة القاضي ميان محبوب أحمد بحيث حكم بعدم صلاحية قادياني لأن يكون عمدة لقرية من قرى المسلمين. [٥]

سادسا: المحكمة العالية لاهور (١٩٩٢م):

برئاسة القاضي ميان نذير أختر بحيث حكم ضد القاديانيين لاستعمالهم المصطلحات الإسلامية في بطاقاتهم الدعوية. [٦]

سابعا: المحكمة الشرعية الفيدرالية (١٩٩٠م):

---

[١] محمد متين خالد، الأحكام القضائية ضد القاديانية، علم وعرفان للنشر، لاهور، ٢٠٠٢م، ص٧٩—٢٢٧.

[٢] المصدر السابق، ص٢٣٣—٤١٢.

[٣] المصدر السابق، ص٢٥١—٢٥٤.

[٤] المصدر السابق، ص٢٥٨—٢٦٠.

[٥] المصدر السابق، ص٢٦٤—٢٦٩.

[٦] المصدر السابق، ص٢٧٧—٢٩٢.

برئاسة القاضي گل محمد خان وعضوية كل من القضاة: عبد الكريم خان كندي وعبادت يار خان وعبد الرزاق علي تهيم والشيخ فدا محمد خان، حكمت المحكمة قضية إهانة النبي صلى الله عليه وسلم بعقوبة الموت. [١]

ثامنا: المحكمة العالية لاهور (١٩٩٤م):

برئاسة القاضي خليل الرحمن خان وعضوية كل من القضاة: سيد محمد زبير وميان نذير أختر، حكمت المحكمة في قضية إهانة جميع الأنبياء وإهانة النبي صلى الله عليه وسلم. [٢]

تاسعا: المحكمة العالية كوئته (١٩٨٧م):

برئاسة القاضي أمير الملك مينگل في قضية مخالفة القانون ضد القاديانية. [٣]

عاشرا: المحكمة العالية لاهور (١٩٩١م):

برئاسة القاضي خليل الرحمن خان حكمت بمنع القاديانيين عقد مهرجانات بمناسبة مرور مائة سنة على نبوة القادياني الكذاب. [٤]

حادي عشر: المحكمة العليا (١٩٩٣م):

حكمت في قضية استعمال الشعائر الإسلامية للقاديانيين برئاسة القاضي عبد القدير چودري، وعضوية كل من القضاة: شفيع الرحمن ومحمد أفضل لون وولي محمد خان وسليم أختر. [٥]

ثاني عشر: المحكمة العليا (١٩٩٩م):

برئاسة القاضي سعيد الزمان صديقي وعضوية كل من القضاة: إرشاد حسن خان وراجه افراسياب خان ومحمد بشير جهانگيري وناصر أسلم زاهد في قضية استأنفوا فيها حكم القضية العالية في استعمالهم الاصطلاحات الإسلامية ولكنهم لم يترافعوا أمام القضاء فردت دعواهم. [٦]

---

[١] المصدر السابق، ص٣٠٤–٣٢٩.

[٢] المصدر السابق، ص٣٣٥–٣٦٧.

[٣] المصدر السابق، ص٣٧٦–٣٩٩.

[٤] المصدر السابق، ص٤١٠–٤٤٨.

[٥] المصدر السابق، ص٤٥٩–٥٢٥.

[٦] المصدر السابق، ص٥٣٠–٥٣١.

المبحث الثالث : دور العلماء في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في المحاكم وغيرها:

لقد أدى العلماء دورهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم على جبهات عديدة منها:

١- جبهة التأليف والتصنيف، وقد مرّ معنا في الفصل الثاني أسماء الكتب.

٢- جبهة تثقيف الشعب وتحريضهم في المشاركة، كما مر معنا في مبحث المسيرات.

٣- جبهة المناظرات والمباهلات: كما ذكرت سابقا بأن الشيخ ثناء الله الأمرتسري وغيره من العلماء قاموا بمناظرة القاديانيين بصورة خاصة وغير المسلمين بصورة عامة وغلبوا فيها بإذن الله تعالى، وهناك من العلماء من دعا الميرزا القادياني للمباهلة ولكنه كان يفر دائما من المباهلة خوفا من أن تصيبه لعنة المسلمين. [١]

٤- جبهة مصارعة القاديانية وغيرها من الأعداء بتقديم الأدلة أمام المحاكم، ونرى ذلك واضحا في مشاركة العلماء مع القضاة في فهم القضية وبيان الحجج والأدلة بدعوة من المحاكم. كما تقدم الدكتور محمود أحمد غازي والشيخ صدر الدين الرفاعي والشيخ تاج الدين الحيدري وبروفسور محمد أشرف والشيخ ميرزا محمد يوسف وبروفسور محمد طاهر القادري أمام المحكمة الشرعية الفيدرالية في قضية القاديانية [٢]، وفي قضية أخرى تقدم أمام المحكمة الشرعية الفيدرالية كل من الشيخ سبحان محمود والمفتي غلام رسول القادري والشيخ صلاح الدين يوسف والشيخ محمد عبده الفلاح والشيخ عبد الشكور والشيخ فضل هادي والشيخ سعيد الدين شيركوتي والشيخ رياض الحسن النوري [٣]، وقدموا أمام المحكمة أدلتهم حول عقوبة الموت لشاتم الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد قدم الدكتور محمود أحمد غازي رحمه الله تعالى الأدلة والبراهين على كفر الطائفة القاديانية أمام المحكمة في جنوب إفريقيا.

الفصل الرابع: دور المجلس البرلمانية تجاه هذه الفتن:

---

[١] مقال عبد الرشيد عراقي: "الشيخ محمد حسين البتالوي والرد على القاديانية"، المصدر السابق، مجلة دعوة أهل الحديث، ص٢٧٦.

[٢] محمد متين خالد، الأحكام القضائية، ص٨٩.

[٣] المصدر السابق، ص٣٠١، ٣٠٦.

فيه مبحثان.

المبحث الأول: دور البرلمان الباكستاني في إصدار قرار يقضي بتكفير الطائفة القاديانية:

كما تقدم في مبحث حركة ختم النبوة عام ١٩٧٤م، نتيجة لهذه الحركة أصدر البرلمان الباكستاني تعديلا دستوريا لحل هذه القضية، ونصها كما يلي:

أولا: عنوان التعديل وبداية نفاذه:

١- يسمى هذا التعديل الدستوري باسم قانون عام ١٩٧٤م.

٢- سوف يبدأ تنفيذ هذا القانون فوريا.

ثانيا: تعديل في المادة رقم ١٠٦:

يعدل في دستور جمهورية باكستان الإسلامية في المادة رقم ١٠٦ بحيث يكتب بعد قوله: الجماعة القاديانية أو الجماعة اللاهورية بين القوسين "الذين يسمون أنفسهم أحمديين".

ثالثا: تعديل في المادة رقم ٢٦٠:

يعدل في الدستور في المادة رقم ٢٦٠ ويضاف بعد البند الثاني بند آخر ونصه: أي شخص لا يؤمن قطعيا وبدون شرط بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين وهو النبي الأخير أو يدعي بنبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأي مفهوم أو بأي قسم أو يعترف بأي مدع بأنه نبي أو مصلح ديني، فهو ليس بمسلم في نظر الدستور و القانون.

رابعا: بيان الأهداف:

كما قرر في الجمعية الوطنية باقتراح من اللجنة الخاصة بأن الهدف من هذا التعديل في دستور جمهورية باكستان الإسلامية بحيث يصبح أي شخص لا يؤمن قطعيا وبدون شرط بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين وهو النبي الأخير أو يدعي بنبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأي مفهوم أو بأي قسم أو يعترف بأي مدع بأنه نبي أو مصلح ديني، غير مسلم في نظر القانون.

عبد الحفيظ پير زاده— الوزير المسؤول.

كما أصدر الرئيس الجنرال محمد ضياء الحق مرسومين عام ١٩٨٢م و ١٩٨٤م لنفس هذا الغرض.[1]

المبحث الثاني: إصدار قانون للحفاظ على مقام الرسالة:

في عام ١٩٨٣م ألف أحد المحامين الاشتراكيين وهو مشتاق راج كتابا باللغة الإنجليزية باسم الشرعية السماوية ووزع على نطاق واسع بين المحامين والمثقفين، وقد استهزأ الكاتب بذات الله تعالى وبالأديان السماوية ووصف العلماء بالشياطين وهاجم الأنبياء وذكرهم بكلمات ساقطة حتى إنه تجرأ إلى الهجوم على ذات النبي صلى الله عليه وسلم بعبارات في غاية الإهانة والسخف.

فاجتمع الغيورون في جمعية المحامين المسلمين الدولية (باكستان) في جلسة استثنائية لبحث هذه القضية ودعوا العلماء في الاجتماع، كما حضر معهم إثنان من أساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهما: الشيخ ربيع المدخلي والشيخ سعيد صالح وكانا موجودين آنذاك في لاهور، واتفق الجميع على أن مؤلف هذا الكتاب أساء إساءة بالغة لا يمكن السكوت عليه في أي حال من الأحوال وطالبوا الحكومة بمصادرته ومحاكمة الكاتب، فاشتاط المؤلف غضبا وبدأ يسب أعضاء نقابة المحامين وأعضاء الجمعية ووصفهم بالجهل وزعماء العواطف الحيوانية.

وأصدرت الحكومة قرارا بحظر الكتاب ومصادرته، وتبين أنه لا يوجد في القانون الباكستاني أي نص يدين هذا الجاني، وأدى ذلك إلى موجة من الغضب في الأوساط الإسلامية، واجتمع العلماء وأصحاب القانون والسياسيون لبحث هذه القضية وسن قوانين لمعاقبة مرتكبي مثل هذه الجرائم.

ومن ناحية أخرى خرج بعض الشباب الثائر بحثا عن هذا الجاني فأحست الحكومة بالخطر فقبضت على الجاني وحاول بعض زملائه إخراجه من السجن بالكفالة فأدى ذلك إلى غضب المحامين الآخرين فقاموا في المحكمة وطالبوا برد دعوى الكفالة بكل شدة، وعندما رأى القاضي غضبهم ماكان منه إلا أن رد طلب الكفالة وأعلن أن القضية نقلت إلى

---

[1] المصدر السابق، ص٦٣–٦٤، و٦٥ و٧٠.

المحكمة العسكرية، ولم يستطع الجاني الخروج من السجن، ولما علم به أهل السجن أرادوا الفتك به ولكن سلطات السجن حبسته في سجن منفرد.

ونتيجة لهذه الجهود المضنية أعلن الرئيس الراحل الجنرال محمد ضياء الحق عزمه على التقنين لمعاقبة هذه الجريمة، ولكن لم يظهر عزمه في حيز التنفيذ، فقدم أحد كبار المحامين وهو محمد إسماعيل قريشي بطلب في المحكمة الشرعية الفيدرالية ضد الحكومة "متمثلة في رئيس الدولة وحكام الولايات" بأنها قد قصرت في واجبها للتقنين حول الحفاظ على كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاقبة مرتكبي جريمة الإساءة إلى مقام النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد وقّع على هذا الطلب عدد كبير من العلماء والقضاة السابقين والوزراء السابقين والمحامين وغيرهم.

وكانت الخطوة الأولى بأن قدم مشروع قانون في البرلمان الباكستاني يطالب بعقوبة الموت لمن أهان الرسول صلى الله عليه وسلم أو الشخصيات المقدسة عند المسلمين، فسوف يعرض نفسه لعقوبة الموت أو السجن المؤبد، ووافق المجلس الوطني في ٢/١٠/١٩٨٦م بالإجماع على هذا القرار وأصبح بذلك قانونا ساري المفعول، وقد رأى بعض المحامين بأن تكون العقوبة واحدة بدون بديل أي عقوبة الموت فقط، فتقدم المحامي محمد إسماعيل قريشي إلى المحكمة الشرعية الفيدرالية وطلب هذا التعديل في القانون وبعد الاستماع إلى أقوال أهل العلم أصدرت المحكمة حكما في ٣٠/١٠/١٩٩٠م بأن عقوبة شاتم الرسول هي الموت فقط.[١]

وهكذا نرى أن القضاء الباكستاني والبرلمان الباكستاني قد لعبا دورا مهما في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك صدوا الباب أمام من تسول له نفسه في ارتكاب مثل هذه الجرائم، والحمد لله.

***

---

[١] محمد إسماعيل قريشي، ناموس رسول وقانون توهين رسالت، ص٤٣٥-٤٤٩.

آداب الحج

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه كلمة موجزة في آداب الحج، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف آداب الحج وسننه وأحكامه ومسائله حتى يكون حجه مبرورا موافقا للسنة النبوية المطهرة، ولما كان الحج ركنا عظيما من أركان الإسلام الخمسة، وعبادة كبيرة وفريضة محكمة فصلت الكلام في آدابه وسننه، وفي مسائله وأحكامه ليطلع على ذلک كل من أراد الحج أو العمرة، ويستفيد منها، فأقول وبالله التوفيق والعصمة:

سن الدين الحنيف آدابا وسننا وأحكاما تتعلق بالحج والعمرة أذكر من أهمها فيما يلي:

١–لا يجوز للمحرم بحج أو عمرة لُبس شيء من الملابس الآتية: القمص، العمائم، السراويلات، البرانس، الثياب التي مسها الزعفران، والورس، لحديث ابن عمر: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تلبسوا القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحد لا يجد النعلين فيلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه الزعفران ولا الورس.[1]

٢–من أدب الحج أن يكون الحاج ملبيا حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر، أو يطوف طواف الإفاضة امتثالا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهلّ فقال: "لبيک اللهم لبيک لا شريک لک لبيک، إن الحمد والنعمة لک والملک لا شريک لک"، قالوا: وكان عبد الله بن عمر يقول: هذه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم".[2]

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة لبسه الخ.
[2] رواه مسلم في صحيحه، باب التلبية وصفتها ووقتها.

قال النووي: قال أصحابنا: ويستحب رفع الصوت بالتلبية بحيث لا يشق عليه، والمرأة ليس لها الرفع لأنه يخاف الفتنة بصوتها. ويستحب الإكثار منها لا سيما عند تغاير الأحوال كإقبال الليل والنهار، والصعود والهبوط، واجتماع الرفاق، والقيام والقعود، والركوب والنزول، وأدبار الصلوات، وفي المساجد كلها، والأصح أنه لا يلبي في الطواف والسعي لأن لهما أذكارا مخصوصة، ويستحب أن يتكرر التلبية كل مرة ثلاث مرات فأكثر، ويواليها ولا يقطعها بكلام، فإن سلّم عليه إنسان رد السلام باللفظ، ويكره السلام عليه في هذا الحال، وإذا لبّى صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل الله تعالى ما شاء لنفسه ولمن أحبه وللمسلمين، وأفضله سؤال الرضوان والجنة والاستعاذة من النار، وإذا رأى شيئا يعجبه قال: "لبيك إن العيش عيش الآخرة" ولا تزال التلبية مستحبة للحاج حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر، أو يطوف طواف الإفاضة إن قدمه عليها أو الحلق عند من يقول: الحلق نسك، وهو الصحيح، وتستحب للمعتمر حتى يشرع في الطواف، وتستحب التلبية للمحرم مطلقا سواء الرجل والمرأة والمحدث والجنب والحائض لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "اصنعي ما يصنع الحاج غير أن لا تطوفي". [١]

٣- يستحب أن يصلي الرجل الركعتين عند إرادة الإحرام ويصليهما قبل الإحرام لحديث عبد الله بن عمر كان يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركع بذي الحليفة ركعتين ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهلّ بهؤلاء الكلمات" [٢] الحديث.

٤- الأفضل أن يحرم المرء إذا انبعثت به راحلته لحديث ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله في الغرز وانبعث به راحلته قائمة أهلّ من ذي الحليفة. [٣]

٥- يحرم الاصطياد على المحرم بحج أو عمرة لحديث ابن عباس عن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وجهي قال: إنا لن نردّه عليك إلا أنا حرم". [٤]

---

[١] شرح مسلم ١/٣٧٦، طبع الهند.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب أمر أهل المدينة بالإحرام من عند مسجد ذي الحليفة.

[٣] رواه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب أمر أهل المدينة بالإحرام من عند مسجد ذي الحليفة.

[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم الصيد المأكول البري الخ.

٦–يجوز للمحرم أنه يقتل في الحل والحرام والإحرام الحية والغراب والفارة والكلب العقور والحدا يا لحديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفارة، والعقرب، والغراب، والحديا، والكلب العقور". [١]

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفارة، والكلب العقور". [٢]

٧–إن من احتاج إلى حلق الرأس لضرر من قمّل أو مرض أو نحوهما فله حلقه في الإحرام وعليه الفدية، قال الله تعالى: "فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام، أو صدقة، أو نسک" لحديث كعب بن عجرة قال: أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وأنا أو قد تحت –قال القواريري: قدر لي، وقال أبو الربيع: بُرمة لي، والقمل تتناثر على وجهي فقال: أيؤذيک هوام رأسک؟ قال: قلت: نعم قال: فاحلق، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسک نسيكة" [٣] الحديث.

٨–لا بأس بالحجامة للمحرم في الرأس وغيره إذا كان له عذر في ذلک لحديث ابن عباس "أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم". [٤]

٩–لا بأس بمداواة العين للمحرم بالصبر ونحوه مما ليس بطيب لحديث نبيه بن وهب قال: خرجنا مع أبان بن عثمان حتى إذا كنا بملل اشتكى عمر بن عبيد الله عينيه، فلما كان بالروحاء اشتد وجعه فأرسل إلى أبان بن عثمان يسأله فأرسل إليه أن اضمدهما بالصبر، فإن عثمان حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل إذا اشتكى عينيه وهو محرم ضمّدهما بالصبر". [٥]

١٠–يجوز للمحرم أن يغتسل، ويغسل رأسه، ويمُر يده على شعره بحيث لا ينتف شعرا لحديث ابن حنين عن أبيه عن عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة أنهما اختلفا بالأبواء، فقال عبد الله بن عباس: يغسل المحرم رأسه، وقال المسور: لا يغسل المحرم رأسه، فأرسلني ابن عباس إلى أبي أيوب الأنصاري أسأله عن ذلک، فوجدته يغتسل بين القرنين، وهو يستر بثوب، قال: فسلمت

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب الخ.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى الخ.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز الحجامة للمحرم.
[٥] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز مداواة المحرم عينيه.

عليه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا عبد الله بن حنين، أرسلني إليك عبد الله بن عباس، أسألك كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه وهو محرم، فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأطأه حتى بدا لي رأسه ثم قال لإنسان: أصبب فصب على رأسه، ثم حرك رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، ثم قال: هكذا رأيته صلى الله عليه وسلم يفعل". [١]

١١– إن المحرم إذا مات لا يجوز أن يلبس المخيط، ولا يخمّر رأسه، ولا يمس طيبا لحديث ابن عباس أن رجلا كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما، فوقصته ناقته، فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبدا". [٢]

١٢– يجوز أن يشترط الحاج والمعتمر في إحرامه أنه إن مرض تحلل لحديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخل النبي صلى الله عليه على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، فقالت يا رسول الله! إني أريد الحج وأنا شاكية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حُجي واشترطي أن محلي حيث حبستني. [٣]

١٣– يصح إحرام النفساء والحائض، ويستحب لهما أن يغتسلا للإحرام لحديث عائشة قالت: نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر بالشجرة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل". [٤]

١٤– إن الحائض والنفساء والمحدث والجنب يصح منهم جميع أفعال الحج وأقواله وهيآته إلا الطواف وركعتيه، فيصح الوقوف بعرفات، وكذلك الأفعال المشروعة في الحج تشرع للحائض وغيرها. [٥]

١٥– يشرع للرجل أن يحج بامرأته للأحاديث الصحيحة الواردة فيه. [٦]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز غسل المحرم بدنه ورأسه.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات.

[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه.

[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب صحة إحرام النفساء الخ.

[٥] شرح صحيح مسلم ٣٨٨/١.

[٦] شرح صحيح مسلم ٣٨٩/١.

١٦–إن طواف الوداع واجب إلا أنه لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر إلى طهرها لتأتي به، ولا دم عليها في تركه. [١]

١٧–إن من كان بمكة وأراد الإحرام بالحج استحب له أن يحرم يوم التروية ولا يقدمه عليه، هذا مذهب الشافعي وموافقيه. [٢]

١٨–إنه يستحب لكل من أراد الإحرام بحج أو عمرة سواء الحائض وغيرها أن يغتسل. [٣]

١٩–إن القارن يكفيه طواف واحد وسعي واحد، وهو مذهب الشافعي والجمهور، وقال أبو حنيفة وطائفة: يلزمه طوافان وسعيان. [٤]

٢٠–يصح حج الصبي ويثاب عليه، قال النووي: "ففيه صحة حج الصبي والحج بـه، ومذهب مالك والشافعي وأحمد والعلماء كافة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم أنه يصح حج الصبي ويثاب عليه، ويترتب عليه أحكام حج البالغ إلا أنه لا يجزيه عن فرض الإسلام، فإذا بلغ بعد ذلك واستطاع لزمه فرض الإسلام، وخالف أبو حنيفة الجمهور فقال: لا يصح له إحرام ولا حج ولا ثواب فيه، ولا يترتب عليه شيء من أحكام الحج، قال: وإنما يحج به ليتمرن ويتعلم ويتجنب محظوراته للتعلم، قال: وكذلك لا تصح صلاته وإنما يؤمر بها لما ذكرناه، وكذلك عنده سائر العبادات، والصواب مذهب الجمهور لحديث ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة رفعت صبيا فقالت يا رسول الله! ألهذا حج؟ قال: نعم. والله أعلم. [٥]

٢١–إن المتمتع لا بد له من السعي بين الصفا والمروة في الحج بعد رجوعه من عرفات وبعد طواف الإفاضة. [٦]

٢٢–تجزي البدنة من الإبل والبقرة في الحج، كل واحدة منهما عن سبعة. [٧]

---

[١] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٠.

[٢] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٩١.

[٣] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٩٢.

[٤] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٩١.

[٥] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٩٢.

[٦] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٩٢.

[٧] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٩٢.

٢٣–يجوز الاشتراك في الهدي والأضحية، لحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: "فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة". [١]

قال النووي: "ففي هذا الحديث دلالة لإجزاء كل واحدة منهما عن سبعة أنفس وقيامها مقام سبع شياه، وفيه دلالة لجواز الاشتراك في الهدي والأضحية، وبه قال الشافعي وموافقوه، فيجوز عند الشافعي اشتراك السبعة في بدنة سواء كانوا متفرقين أو مجتمعين، وسواء كانوا مفترضين أو متطوعين، وسواء كانوا متقربين كلهم، أو كان بعضهم متقربا، وبعضهم يريد اللحم، روي هذا عن ابن عمر وأنس، وبه قال أحمد، وقال مالك: يجوز إن كانوا متطوعين ولا يجوز إن كانوا مفترضين، وقال أبو حنيفة: إن كانوا متقربين جاز سواء اتفقت قربتهم أو اختلفت، وإن كان بعضهم متقربا وبعضهم يريد اللحم لم يصلح للاشتراك". [٢]

٢٤–إن الأفضل للمتمتع وكل من أراد الإحرام بالحج من مكة أن لا يحرم به إلا يوم التروية. [٣]

٢٥–إنه يصح الإحرام معلقا بأن ينوي إحراما كإحرام زيد فيصير هذا المعلق كزيد، فإن كان زيد محرما بحج كان هذا بحج أيضا، وإن كان بعمرة فبعمرة، وإن بهما فبهما، وإن كان زيد أحرم مطلقا صار هذا محرما إحراما مطلقا، فيصرفه إلى ما شاء من حج أو عمرة، ولا يلزمه موافقة زيد في الصرف". [٤]

٢٦–يجوز الحج راكبا وماشيا لحديث رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال في حديثه: "فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري من راكب وماش" [٥] الحديث.

قال النووي: "فيه جواز الحج راكبا وماشيا وهو مجمع عليه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال الله تعالى: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر".

---

[١] كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام الخ.
[٢] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٢.
[٣] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٢.
[٤] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٣.
[٥] كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

واختلف العلماء في الأفضل منهما، فقال مالك والشافعي وجمهور العلماء: الركوب أفضل اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولأنه أعون له على وظائف مناسكه، ولأنه أكثر نفقة، وقال داود: ماشيا أفضل لمشقته، وهذا فاسد لأن المشقة ليست مطلوبة.[1]

٢٧-إن السنة للحجاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك.[2]

٢٨-إن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفات يُسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه.[3]

٢٩-إن الطواف سبع طوافات لحديث رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال في حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا".[4]

٣٠-إن السنة أن يرمل في الثلاث الأول، ويمشي على عادته في الأربع الأخيرة.[5]

٣١-يُسنّ للحاج أن يمسح الركن بيده في كل طواف.[6]

٣٢-ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف لما في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال في حديثه: "ثم تقدم-رسول الله صلى الله عليه وسلم-إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" فجعل المقام بينه وبين البيت"[7] الحديث.

قال النووي: "هذا دليل لما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف، واختلفوا هل هما واجبان أم سنتان؟ وعندنا فيه خلاف، حاصله ثلاثة أقوال، أصحها أنهما سنة، والثاني أنهما واجبتان، والثالث إن كان طوافا واجبا فواجبتان وإلا فسنتان.

(يتبع)

***

[1] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٥.
[2] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٥.
[3] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٥.
[4] كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[5] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٥.
[6] شرح صحيح مسلم ١/٣٩٥.
[7] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

الفقه الإسلامي

حكم زكاة الحلي

(٢-٢) عبد الأحد أحسن جميل

أدلة القائلين بوجوب الزكاة في الحلي:

استدل القائلون بوجوب زكاة الحلي بأدلة منها:

١- قوله تعالى: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون}.[١]

قال الكاساني: ألحق الوعيد الشديد بكنز الذهب والفضة وترك إنفاقها في سبيل الله من غير فصل بين الحلي وغيره، وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز[٢].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: الآية عامة في جميع الذهب والفضة لم تخصص شيئا دون شيء فمن ادعى خروج الحلي المباح من هذا العموم فعليه الدليل.[٣]

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره".

قال ابن عثيمين رحمه الله: هذا عام، والمرأة التي عندها حلي سواء أكان حلي فضة أو ذهب، صاحبة ذهب أو فضة، وهذا العموم يشمل الحلي وغير الحلي، ومن قال إن الحلي خارج منه فعليه الدليل[٤].

٣- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن إمرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: أتعطين زكاة هذا؟ قالت: لا، قال: أيسرك

---

[١] التوبة: ٣٤-٣٥.

[٢] بدائع الصنائع للكاساني ١٧/٢.

[٣] رسالة في زكاة الحلي لمحمد بن صالح العثيمين ص: ٥-٦.

[٤] الشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن صالح العثيمين ١٢٨/٦.

أن يسورك الله بهاسوارين من نار؟ قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: هما لله ورسوله.[١]

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتخات من ورق فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله! فقال: أتؤدين زكاتهن؟ قالت: لا، أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار.[٢]

٥- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب فقلت: يا رسول الله أكنز هو؟ فقال: ما بلغ أن تؤدى زكاته فزكي فليس بكنز.[٣]

٦- ومن أدلتهم الآثار الواردة عن الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وعائشة في رواية[٤].

٧- وكذلك استدلوا بالقياس. فهو تأييد للنصوص المتقدمة، فهم قاسوا الحلي على المسكوك والمسبوك بجامع أن الجميع نقد[٥].

٨- وكذلك استدلوا باللغة. فقالوا إن لفظ الرقة ولفظ الأوقية الوارد ذكرهما في الحديث يشمل المصوغ كما يشمل المسكوك. لكن قال الشيخ الأمين الشنقيطي ردا على هـذا: إن التحقيق خلافه[٦].

أدلة المانعين لوجوب زكاة الحلي المباح المستعمل:

استدل القائلون بعدم وجوب زكاة الحلي بأدلة منها:

١- عن جابر رضي الله عنه مرفوعا أنه قال: ليس في الحلي زكاة.[٧]

٢- عن زينب زوجة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنها قالت: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر النساء! تصدقن ولو من حليكن.[٨]

---

[١] رواه أبو داود برقم ١٥٦٣. والترمذي ٦٣٧، والنسائي ٢٤٧٩، والبيهقي ٧٣٤٠. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٨٢.

[٢] أبو داود ١٥٦٥. والحاكم ١٤٣٧. والبيهقي ٤/١٣٩. والدارقطني ٢/١٠٥ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٨٢

[٣] أبو داود ١٥٦٤. والبيهقي ٤/١٤٠، والدارقطني ١/١٠٥، والحاكم ١/٣٩٠. وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٨٤.

[٤] قدمر تخريج هذه الأقوال في الحلقة الأولى من هذا المقال.

[٥] أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٢/٤٠٨.

[٦] أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٢/٤٠٨

[٧] أخرجه الدارقطني ٢/١٠٧ وعبد الرزاق في مصنفه ٧٠٤٧. وابن الجوزي في التحقيق ١١٤٨. وقال الألباني حديث باطل. إرواء الغليل للألباني. برقم ٨١٧ ص: ٣/٢٩٤.

[٨] رواه البخاري رقم ١٤٦٦، ومسلم ٢/٦٩٤.

قال ابن العربي: هذا الحديث يوجب بظاهره أن لا زكاة في الحلي بقوله للنساء: تصدقن ولو من حليكن، ولو كانت الصدقة فيه واجبة لما ضرب المثل به في صدقة التطوع. [١]

٣- أنه قول لبعض من الصحابة كأنس وجابر وابن عمر وأسماء وعائشة رضي الله عنهم في رواية. [٢]

٤- أن هذا الحلي معد لحاجة الإنسان الخاصة ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة. [٣] وهذا مثل العبد والفرس والثياب. وهي لا زكاة فيها.

٥- أن هذا الحلي ليس مرصدا للنماء، فلا تجب فيه الزكاة كالثوب والعباءة.

المناقشات والردود

أولا: مناقشة بعض أدلة القائلين بوجوب زكاة الحلي:

اعترض على القائلين بوجوب زكاة الحلي اعتراضات ومنها:

١- إن وجوب الزكاة على الحلي كان عندما كان التحلي بالذهب حراما على النساء فلما أبيح لهن سقطت منه الزكاة.

قال البيهقي: وإلى هذا ذهب كثير من أصحابنا. ذكر البيهقي هذا الاعتراض ثم تعقبه فقال: كيف يصح هذا القول مع حديث أم سلمة وحديث فاطمة بنت قيس وحديث أسماء وفيها التصريح بلبسه مع الأمر بالزكاة. [٤]

وأجاب على هذا الاعتراض الشيخ محمد بن العثيمين رحمه الله فقال: إن هذا لا يستقيم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع من التحلي به، بل أقره مع الوعيد على ترك الزكاة، ولو كان التحلي ممنوعا لأمر بخلعه وتوعد على لبسه. ثم إن النسخ يحتاج إلى معرفة التاريخ. [٥]

٢- إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالزكاة فيها لما رأى فيها من الغلظة التي تؤدي إلى الإسراف.

والجواب على هذا الاعتراض أن الأمر بتأدية الزكاة للغلظة والإسراف فيهما يحتاج إلى دليل خاص.

---

[١] شرح الترمذي لابن العربي ٣/١٣٠-١٣١.

[٢] قدمر تخريج هذه الأقوال في الحلقة الأولى من هذا المقال.

[٣] رواه البخاري برقم ١٤٦٤. ومسلم ٩٨٢.

[٤] نصب الراية للزيلعي ٢/٣٧٣-٣٧٤.

[٥] رسالة في زكاة الحلي لمحمد بن صالح العثيمين ص: ١١.

٣-إن المرادبالزكاةفي هذه الأحاديث التطوع لا الفريضة أو المرادبالزكاة الإعارة.

وللردعلى هذانقل المباركفوري عن الملاعلي القاري قوله: إن هذاالتأويل في غاية البعد، وإذلا وعيدفي ترك التطوع والإعارة مع أنه لا يصح إطلاق الزكاةعلى العارية لا حقيقة ولا مجازا.[1]

ومن الردعلى هذا أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لـم يـسأل أصـحاب الحلـي وصواحباته أتعيرين هذا؟ ولو كانت الإعارة زكاة لاستفسر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ولأجبن عن أنفسهن بأنهن يعرنه أو لا.[2]

٤- إن النبي صلى الله عليه وسلم إنماخص بعض النسوة بالأمر بتأدية زكاة الحلي ولم يأمر به أمراعاما لجميع الناس. فدل ذلك على أن الزكاة في الحلي ليس بفرض. قال أبو عبيد: ولو كانت الزكاة في الحلي فرضاكفرض الرقة ما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك على أن يقوله لامرأة يخصها به عندرؤيته الحلي عليها دون الناس، وكان هذا كسائر الصدقات الشائعة المنتشرة عنه في العالم من كتبه وسنته ونقلته الأئمة بعده. وقد كان الحلي من فعل الناس في آباد الدهر فلم نسمع له ذكرا في شيىء من كتب صدقاتهم.

هذا الدليل أجاب عليه الشيخ عطية السالم فقال: أما دعوى اقتصار البيان وتخصيصه بامرأة فجوابه من وجهين:

أ- وجود أصل الوجوب السابق في عموم الذهب والفضة من الكتاب. كقوله تعالى: "والذين يكنزون الذهب والفضة.." (التوبة:٣٤).

ب- وجود البيان لعدة نساء قبل تلك المرأة: عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

٥- إن الأحاديث التي استدل القائلون بالوجوب ضعيفة.

الجواب على هذا أنه ليس بصحيح على إطلاقه، فإن هذه الأحاديث منها ما هو على شرط الشيخين، ومنها ما هو على شرط مسلم، وبقيتها أقل درجاتها صلاحيته للاستشهاد به.[3]

والأحاديث التي استدل بها القائلون بالوجوب صحح الشيخ الألباني رحمه الله جلها في كتابه "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل": ٢٩٦/٣.

---

[1] تحفة الأحوذي لمحمد عبد الرحمن المباركفوري ٣٦/٣.

[2] زكاة الحلي على المذاهب الأربعة، لعطية محمد سالم ص:٦٠.

[3] زكاة الحلي على المذاهب الأربعة. لعطية محمد سالم ص:٨٠.

ثانياً: مناقشة بعض أدلة المانعين بوجوب زكاة الحلي:

وردعلى أدلة المانعين بوجوب زكاة الحلي اعتراضات ومنها:

١- حديث "ليس في الحلي زكاة" حديث ضعيف لا تقوم به حجة. والأكثر على أنه موقوف على جابر. فهذا الحديث لا تقوم به حجة فضلا عن أنه يعارض الحديث الصحيح. ثم إن المستدلين به لا يقولون بموجبه، فلو أخذنا بموجبه لكان الحلي لا زكاة فيه مطلقا، وهم لا يقولون بذلك، فيقولون إن الحلي المعد للإجارة أو النفقة فيه الزكاة. وهذا معناه أننا أخذنا بالحديث من وجه، وتركناه من وجه آخر. هذا لو صح الحديث. [1]

٢- وقوله صلى الله عليه وسلم: "تصدقن ولو من حليكن" فلا دلالة فيه على عدم وجوب الزكاة في الحلي، كما لو قلت لآخر قد أعد مالا للنفقة وقد بلغ نصابا: تصدق ولو من نفقتك. فلا يدل ذلك على عدم وجوب الزكاة في هذا المال، بل معناه تصدقن من جميع الأموال التي تجب فيها الزكاة ولو كانت من حليكن وذكر "لو" ليدفع توهم من يتوهم أن الحلي من الحوائج الأصلية. [2]

٣- أما القياس فهو باطل لوجوه:

أ- أنه في مقابلة النص، وكل قياس في مقابلة النص فإنه يكون فاسد الاعتبار.

ب- أنه قياس مع الفارق، لأن الأصل في الذهب والفضة وجوب الزكاة، وليس الأصل في الفرس والعبد والثياب وجوب الزكاة. فكيف نقيس ما أصله الزكاة على شيء الأصل فيه عدم الزكاة؟

ت- أنه متناقض لأنه لو كان له عبد قد أعده للأجرة فليس فيه زكاة، ولو كان عنده خيل أعدها للأجرة فليس فيها الزكاة، ولو كان عنده حلي أعده للأجرة ففيه الزكاة. وأيضا لو كان عنده حلي أعده للنفقة ففيه الزكاة. ولو كان عنده أثاث ونحوه قد أعده للنفقة كلما احتاج باع منه فليس فيه زكاة. ولو كان عنده ثياب للاستعمال ثم نواها للتجارة فليس فيها زكاة على المذهب بخلاف حلي. إذا لا يصح القياس، ومن الغريب أنه على قولهم لا تجب الزكاة في حلي امرأة قد أعدته للتجميل مع كونه من الكماليات، وتجب الزكاة في حلي امرأة فقيرة قد أعدته للنفقة، وكان مقتضى الحكمة أن تجب الزكاة على من أعدته للكماليات لا على من أعدته للضروريات.

---

[1] الشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن صالح العثيمين ١٣٠/٦.

[2] تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٦/٣.

٤- وأما قوله إن الحلي غير مرصد للنماء.

فالجواب أن الذهب والفضة لا يشترط فيهما الرصد للنماء، بدليل أن الإنسان لو كان عنده دراهم أو دنانير قد ادخرها لا يبيع فيها ولا يشتري، وإنما يأكل منها، أو أعدها لزواج أو شراء بيت فتجب فيها الزكاة لوجوبها في عينها.[١]

سبب الخلاف في مسألة زكاة الحلي:

قال ابن رشد: والسبب في اختلافهم تردد شبهه بين العروض وبين التبر والفضة اللتين المقصود منهما المعاملة في جميع الأشياء. فمن شبهه بالعروض التي المقصود منها المنافع أولا قال: ليس فيه زكاة. ومن شبهه بالتبر والفضة التي المقصود منها المعاملة بها أولا قال: فيه الزكاة. ولاختلافهم أيضا سبب آخر وهو اختلاف الآثار في ذلك.[٢]

الترجيح بين الأقوال: وأقرب الأقوال إلى الصواب عندي هو القول بالوجوب، وهو الذي عليه الحنفية، وذلك لقوة أدلتهم، ولثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحاديث كثيرة. وهذا القول مع كونه أظهر دليلا وأصح تعليلا هو مقتضى الاحتياط أيضا. قال الإمام الخطابي رحمه الله: الظاهر من الكتاب[٣] يشهد لقول من أوجبها، والأثر يؤيده، ومن تسقطها ذهب إلى النظر، ومعه طرف من الأثر[٤] والاحتياط أداؤها[٥].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذا القول مع كونه أظهر دليلا وأصح تعليلا هو متقضى الاحتياط[٦]. والعلم عند الله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين وسلم تسليما كثيرا.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***

---

[١] الشرح الممتع على زاد المستقنع لحمد بن صالح العثيمين ٦/١٣٠-١٣١.

[٢] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لمحمد بن أحمد بن رشد ٢/١٢.

[٣] يشير إلى قوله تعالى: والذين يكنزون الذهب والفضة... الآية

[٤] قلت: ولكن الأحاديث الصحيحة والآثار القوية من حيث الثبوت تؤيد قول من قال بوجوبها، لأن الإسلام أمر بأداء الزكاة لمساعدة الفقراء والمساكين حيث قال تعالى: "والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم". (المعارج: ٢٤-٢٥)، فثبت أن الأمر بأداء الزكاة أوجب وأحق، هذا ما ظهر لي، والله تعالى أعلم.

[٥] ذكره الشيخ سيد السابق رحمه الله في فقه السنة، ص: ٢٥٠.

[٦] الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٦/١٣٥.

الفقه الإسلامي

الحدود وحكمها

(٢-٢) صهيب حسن بن فضل حق المباركفوري

الجريمة الرابعة:

السرقة، وهي لغة: أخذ ما ليس له أخذه خفية. [١]

وفي الاصطلاح: هي أخذ مال محترم لغيره لا شبهة فيه من موضع مخصوص، بقدر مخصوص على وجه الخفية. [٢]

والسرقة من الكبائر، وحدها وعقوبتها قطع اليد، لقوله تعالى: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم}. (المائدة: ٣٨)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا". [٣]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم. [٤]

ويثبت وجوب القطع بالإقرار بالسرقة على نفسه مرتين، أو بأن يشهد عليه رجلان عدلان بأنه سرق. فإذا وجب القطع قطعت يده اليمنى من مفصل الكف، وحسمت بغمسها بزيت مغلى أو بما يقطع الدم، وعليه رد ما أخذ من مال أو بدله لمالكه، وتحرم الشفاعة في حد السرقة وغيرها بعد بلوغه الحاكم.

وإذا عاد السارق مرة أخرى قطعت رجله اليسرى من منتصف ظهر القدم، فإن عاد حُبس وعُزر حتى يتوب ولا يقطع. [٥]

وحكمة مشروعية هذا الحد: لتزول النوائب وتنقطع الأطماع عن التظالم والعدوان، ويقنع كل إنسان بما آتاه مالكه وخالقه، فلا يطمع في استلاب غير حقه [٦]. وفي قطع يد

---

[١] كشاف القناع للبيهقي (٦/١٢٩).

[٢] مختصر الفقه الإسلامي للتويجري ص: (٩١٥).

[٣] متفق عليه من حديث عائشة: البخاري (٦٧٨٩) (١٢/١١٧) الحدود ١٣، واللفظ له، ومسلم (٤٣٧٤) (٦/١٨١).

[٤] أخرجه البخاري (٦٧٩٥)، ومسلم (١٦٨٦).

[٥] مختصر الفقه الإسلامي للتويجري، ص: (٩١٦-٩١٧).

[٦] الحدود والتعزيرات عند ابن القيم لبكر أبو زيد، ص: (٣٥١).

السارق عبرة لمن تحدث نفسه بسرقة أموال الناس، وتطهير للسارق من ذنبه، وإرساء لقواعد الأمن والطمأنينة في المجتمع، وحفظ لأموال الأمة.[١] وقد اعترض بعض السفهاء على عقوبة القطع محتجين بمنافاتها للإنسانية والحضارة والمدنية، فأنا أسأل أصحاب هذه الأصوات، هل الإنسانية والحضارة والمدنية عون على الجرائم والسكوت عليها؟ وهل يرضون لأنفسهم أن يسلط اللصوص عليهم ليلا، وربما قتلوهم وقتلوا أطفالهم ونساءهم؟ قال صاحب المنار: ولعمر الحق إن قطع اليد الذي يفضح صاحبه طول حياته ويسمه بميسم الذل والعار هو أجدر العقوبات بمنع السرقة وتأمين الناس على أموالهم واعتبارهم بالسارقين).

ومن شبهات أثيرت حول قطع يد السارق: التفاوت بين دية اليد إذا جني عليها، فإن ديتها خمس مائة دينار، وبين عقوبتها بالقطع إذا سرقت فإن نصاب السرقة الموجب للقطع ثلاثة دراهم؟

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في الجواب عن ذلك:

(وأما قطع اليد في ربع دينار وجعل ديتها خمس مائة دينار: فمن أعظم المصالح والحكمة.

فإنه احتاط في الموضعين للأموال والأطراف.

فقطعها في ربع دينار حفظا للأموال، وجعل ديتها خمس مائة دينار حفظا لها وصيانة).[٢]

وقال أبو العلاء المعري معترضا:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟
تناقض ما لنا إلا السكوت له ... ونستجير بمولانا من العار

فأجابه بعض أهل العلم وهو القاضي عبد الوهاب المالكي: (لما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت).[٣]

وهناك بيت شعر منسوب إلى عَلَم الدين السخاوي في الرد على أبي العلاء وهو:

عز الأمانة أغلاها، وأرخصها ... ذل الخيانة، فافهم حكمة الباري[٤]

---

[١] مختصر الفقه الإسلامي ص: (٩١٥).

[٢] انظر: "الحدود والتعزيرات" لبكر أبو زيد ص: (٣٥١–٣٥٢).

[٣] التعريفات للجرجاني (١١٨)، وتفسير ابن كثير (٥٤٢/٢) وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ولما قال – المعرى – ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم). وفي تفسير ابن كثير "وأن نعوذ بمولانا من النار" بدل "ونستجير بمولانا من العار".

[٤] انظر: التحرير والتنوير (١٩٣/٦).

والقاضي عبد الوهاب المالكي أيضا أجابه في الشعر كما ذكر الحافظ أنه قال:

صيانة العضو أغلاها وأرخصها ... صيانة المال فافهم حكمة الباري

ثم قال الحافظ: (وشرح ذلک أن الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنايات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمس مائة دينار لكثرت الجنايات على الأموال، فظهرت الحكمة في الجانبين، وكان في ذلک صيانة من الطرفين). [١]

وضمنه أيضا بعض الناظمين قوله:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... لكنها قطعت في ربع دينار

حماية الدم أغلاها، وأرخصها ... خيانة المال، فانظر حكمة الباري

وروي أن الإمام الشافعي — رحمه الله تعالى — أجاب بقوله:

هناک مظلومة غالت بقيمتها ... وههنا ظلمت هانت على الباري

وأجاب شمس الدين الكردي بقوله:

قل للمعري عار أيما عار ... جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لا تقدحن زناد الشعر عن حكم ... شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ... فإن تعدت فلا تسوى بدينار

ومن هنا يتضح للمنصف أن هذا التفاوت بين دية اليد إذا جني عليها وبين نصاب القطع إذا جنت هو عين الحكمة والعدل والصيانة لأبدان الناس وأموالهم. [٢]

وقال الحافظ ابن كثير — رحمه الله تعالى — (هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة، فإنه في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمس مائة دينار لئلا يجنى عليها، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لئلا يتسارع الناس في سرقة الأموال، فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب). [٣]

الجريمة الخامسة: الحرابة وهي لغة: من الحرب التي هي نقيض السلم، يقال: حاربه محاربة، وحرابا أو من الحَرَب — بفتح الراء -: وهو السلب، يقال: حرب فلان ماله، أي: سلبه فهو محروب وحريب.

---

[١] فتح الباري (١٢/١١٧).
[٢] صحيح فقه السنة وأدلته..... لأبي مالک كمال (٤/٩٤).
[٣] تفسير ابن كثير (٢/٥٤٢) ط. دار الكتاب العربي.

وفي الاصطلاح: تسمى "قطع الطريق" وهي البروز لأخذ مال، أو لقتل، أو لإرعاب على سبيل المجاهرة مكابرة، اعتمادا على القوة مع البعد عن المغوث.[١]

والحرابة من الكبائر، وسمى القرآن مرتكبيها محاربين لله ورسوله، وساعين في الأرض بالفساد، وغلظ عقوبتها أشد التغليظ، فقال سبحانه: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم". (المائدة: ٣٣–٣٤)

وهذه الآية تسمى آية المحاربة، وقال في الفتح: "والمعتمد أن الآية نزلت أولا فيهم –العرنيين– وهي تتناول بعمومها من حارب من المسلمين بقطع الطريق، لكن عقوبة الفريقين مختلفة، فإن كانوا كفارا يخير الإمام فيهم إذا ظفر بهم، وإن كانوا مسلمين فعلى قولين: أحدهما: وهو قول الشافعي والكوفيين ينظر في الجناية، فمن قتل قتل، ومن أخذ المال قطع، ومن لم يقتل ولم يأخذ مالا نفي، وجعلوا "أو" للتنويع".[٢]

واشترط الجمهور[٣] في المحارب أن يكون ملتزما بأحكام الشريعة، بأن يكون مسلما أو ذميا أو مرتدا، فلا يحد عندهم الحربي، ولا المعاهد ولا المستأمن.

واستدلوا بقوله تعالى: "إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم". (المائدة: ٣٤) وهؤلاء تقبل توبتهم قبل القدرة وبعدها، ولقوله تعالى: "قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف" (الأنفال: ٣٨) ولقوله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام يجب ما كان قبله".[٤]

وأما الذمي فقد التزم أحكام الشريعة، فله ما لنا وعليه ما علينا.

وذهب ابن حزم إلى أن المحارب إنما هو المسلم العاصي، أو المسلم يرتد فيحارب، فعليه أحكام المحارب، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالعرنيين، فليس للذمي –الذي نقض عهده– لأن له عقوبة في الشرع تختلف عن عقوبة المحارب.[٥]

---

[١] "تاج العروس" و"لسان العرب" و"بدائع الصنائع" (٧/٩٠) و"المغني" (٨/٢٨٧).

[٢] فتح الباري (١٢/١٣٢).

[٣] صحيح فقه السنة وأدلته... لأبي مالك (٤/١٤١).

[٤] أخرجه مسلم (١٢١)، وأحمد (٤/١٩٩).

[٥] المحلى لابن حزم (١٣/١٥٨) نقلا عن "صحيح فقه السنة وأدلته.." (٤/١٤١).

وحكمة شرع الله لهذا الحد: أن يزيل العوائق ويميط الأذى عن الطريق، ليسير المسلمون في أوطانهم آمنين ومطمئنين، لتبادل مصالحهم وتنمية أموالهم وصلة الرحم فيما بينهم وتعاونهم على البر والتقوى، ولاسيما السفر إلى بيته العتيق لأداء شعيرة الحج والعمرة، وإذا أقيم هذا الحد على المحارب وقاطع الطريق فلا يتجرأ غيره على السعي في الأرض للفساد، فيكون كل فرد المجتمع مأمونا على نفسه وأهله وماله في سفره وحضره، ويذهب حيث يشاء في ليله ونهاره. (١)

الجريمة السادسة: الرِّدة، وهي لغة مصدر قولهم: ردَّ يرُدُّ ردًّا وردة، وقيل الرِّدة الاسم من الارتداد، وقال الراغب: (والارتداد والردة: الرجوع، لكن الردة تختص بالرجوع إلى الكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره). (٢)

واصطلاحا: قال ابن قدامة: (هي الإتيان بما يخرج عن الإسلام إما نطقا أو اعتقادا أو شكا ينقل عن الإسلام).

أما المرتد فهو الراجع عن دين الاسلام. (٣)

وقال في الإقناع (المرتد): (هو الذي يكفر بعد إسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا، ولو كان هازلا). (٤)

يقول العلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان —حفظه الله تعالى— (والردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، سواء كان جادا أو هازلا أو مستهزئا، ونواقض الإسلام التي تحصل بها الردة كثيرة) وبعد أن ذكر عدة نواقض قال —حفظه الله تعالى-: (هذه نماذج من نواقض الإسلام، وهي أكثر مما ذكر بكثير، فعليک أن تتعلمها وتعرفها، لتحذر منها وتتجنبها، فإن من لا يعرف الشرک، يوشک أن يقع فيه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يوشک أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

وإني أنصحک أن تقرأ كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب "المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل

---

(١) الملخص الفقهي ص: (٥٥٥) (بتصرف)
(٢) انظر "الصحاح" (٤٧٢/٢) ومقاييس اللغة (٣٨٦/٢) والمفردات (١٩٢).
(٣) معجم المغني في الفقه الحنبلي (٣٦٨).
(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٨٥٣/٥).

الجاهلية" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرحها للعلامة العراقي محمود شكري الآلوسي رحمهم الله". [١]

وأما حد المرتد فهو القتل لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من بدّل دينه فاقتلوه" [٢] ولكن يجب أن يستتاب ويمهل ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل، لقول عمر رضي الله عنه لما بلغه أن رجلا كفر بعد إسلامه، فضربت عنقه قبل استتابته، فقال: (فهلا حبستموه ثلاثا، فأطعمتموه كل يوم رغيفا، واستتبتموه، لعله يتوب أو يراجع أمر الله، اللهم إني لم أحضر ولم أرض إذ بلغني). [٣]

ويقول العلامة صالح بن فوزان الفوزان: (والحكمة في وجوب قتل المرتد أنه لما عرف الحق وتركه، صار مفسدا في الأرض، لا يصلح للبقاء، لأنه عضو فاسد، يضر المجتمع، ويسيء إلى الدين). [٤]

الجريمة السابعة: البغي، وهو في الأصل (الجور والظلم والعدول عن الحق، فأهل البغي هم أهل الجور والظلم والعدول عن الحق ومخالفة ما عليه أئمة المسلمين، ذلك لأنه لا بد للمسلمين من جماعة وإمام). [٥]

فالبغي له معنيان: أحدهما الخاص وهو الخروج على إمام المسلمين، والثاني: العام، وهو تجاوز قدر الاستحقاق أو طلب الاستعلاء بغير حق.

والبغي بمعنى الخروج على الإمام—ولو جائرا—بلا تأويل أو مع تأويل يقطع ببطلانه هو إحدى الكبائر كما قال ابن حجر [٦]، أما البغي بمعناه العام: أي تجاوز قدر الاستحقاق أو طلب الاستعلاء بغير حق، فهو أيضا من الكبائر الباطنة التي يجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها، لأن من كان في قلبه مرض منها لم يلق الله—والعياذ بالله—بقلب سليم، وهذه يذم عليها أعظم مما يذم على الزنا والسرقة وغيرها من كبائر البدن، وذلك لعظيم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه، وإذا دامت هذه الكبائر صارت حالا وهيئة راسخة في القلب، بخلاف آثار

---

[١] الملخص الفقهي ص: (٥٦٩).

[٢] أخرجه البخاري من حديث ابن عباس (٣٠١٧) (٦/١٨٠)، وهو في أبي داود (٤٣٥١) (٤/٣٣٩)، والترمذي (١٤٦٢) (٤/٥٩) والنسائي (٤٠٧٠) (٤/١٣٠) وابن ماجه (٢٥٣٥) (٣/٢١٤) الحدود ٢.

[٣] أخرجه مالك في الموطا (٨٦٩) كتاب السير، وابن أبي شيبة (٣٢٧٤٤) (٦/٤٤٤) السير ٣٠.

[٤] الملخص الفقهي ص: (٥٧٠).

[٥] المرجع السابق ص: (٥٦١).

[٦] انظر "الكبيرة السادسة والثلاثون بعد الثلاث مائة" في الزواجر (٥١٣).

معاصي الجوارح التي تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة.[1]
أما البغي بمعنى الخروج على الإمام فهو أيضا من الكبائر –خلافا لبعضهم– لما يترتب على ذلك من المفاسد التي لا يحصى ضررها ولا ينطفيء شررها مع عدم عذر الخارجين.[2]

هذا بالنسبة لحكم البغي وأثره في الفرد والمجتمع، وأما حد هذه الجريمة بمعناها الخاص فقد تعاقب عليها الشريعة بالقتال، فعلى الإمام أن يراسل أهل البغي، فيسألهم ما ينقمون منه، فإن ذكروا مظلمة أزالها، وإن ادعوا شبهة كشفها، فإن رجعوا وإلا قاتلهم وعلى المسلمين القتال مع إمامهم[3]

والأصل في هذه الجريمة وعقوبتها قوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون". (الحجرات: ٩–١٠)

وقال صلى الله عليه وسلم: "....ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان"[4]. وقال: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه".[5]

والحكمة في تشريع هذه العقوبة أن التساهل فيها يؤدي إلى الفتن والاضطرابات وعدم الاستقرار، وهذا بدوره يؤدي إلى تأخر الجماعة وانحلالها.

هذا، وما ذكر من حكم الحدود قد بيّن لنا أن الجرائم لا يحسمها ويقي المجتمع من شرها إلا إقامة الحدود الشرعية على مرتكبيها. والحق أن حياة الإنسان قوامها حفظ الضرورات الخمس، وإقامة الحدود تحمي تلك الضرورات، وتحافظ عليها، فبالقصاص تصان الأنفس، وبإقامة حد السرقة تصان الأموال، وبإقامة حد الزنا والقذف تصان الأعراض، وبإقامة حد السكر تصان العقول، وبإقامة حد الحرابة يصان الأمن والمال والأنفس والأعراض، وبإقامة الحدود كلها يصان الدين كله.[6]

***

[1] الزواجر (بتصرف) ص(٩٨، ٩٩).
[2] المرجع السابق (٥١٤)، نقلا عن "موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم" (٤٨٦/٩).
[3] الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص: (٥٦٣).
[4] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٤٧٩/٣).
[5] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٤٨٠/٣).
[6] مختصر الفقه الإسلامي للتويجري، ص: (٨٩٩).

شخصية إسلامية

الدكتور مقتدى حسن الأزهري ودوره في الصحافة

مخلص الرحمن
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

كم من شموس منيرة ونجوم متلألئة من العلم والعمل، والفكر والكمال، والعبقرية والنبوغ بزغت على وجه الأرض منذ فجر التاريخ ولا تزال تطلع بإذن الله تعالى إلى آخر المطاف من الدنيا، ملأت هذه الشخصيات الفذة الدنيا بالخدمة الأدبية والإسلامية التي لا ينساها العالم إلى يوم القيامة. ومن الشخصيات النابغة الدكتور مقتدى حسن الأزهري الذي يحتل مكانة ملموسة في الأوساط العلمية والأدبية في الهند وخارجها بتأليفاته القيمة في اللغتين العربية والأردية، وإسهاماته البارزة في مجال الترجمة والتحقيق والتدقيق. وهو ولد في مدينة "مئونات بنجن" إحدي مديريات ولاية اترابراديش في الهند في اليوم الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٣٩م، ومدينة "مئونات بنجن" هي المقر الرئيسي للمديرية، وتقع في الجانب الجنوبي الشرقي لولاية أترابراديش.[١] وهذه الولاية تقع في الجانب الشمالي للهند وهي أكبر ولايات الهند من حيث عدد السكان، وتحدها من الشمال الحدود الدولية لبلاد النيبال، وتحدها في الشمال الغربي ولاية هيما تشل براديش، وتحدها غربا كل من ولايات هريانه، ودلهي، وراجستان، وتحدها من الجنوب ولاية مديا براديش، وتحدها من الجنوب الشرقي ولايتا جتيس كراه وجارغند، وتحدها شرقا ولاية بيهار.[٢]

الأوضاع الاجتماعية والعلمية التى ترعرع فيها الدكتور الأزهري:

مما لا شک فيه أنه هناک علاقة وثيقة وصلة وطيدة بين المرء وبيئته التي يعيش ويترعرع فيها وأن الأحوال الاجتماعية تلعب دورا بارزا في تحقيق العديد من الأهداف التربوية العامة التي تسعي المدارس الفكرية إلي تحقيقها. وتتمثل أهم هذه الأهداف في تنمية حقوق المواطنة، والقدرة علي التفكير، والعلاقات البشرية، والفهم الذاتي. وتسهم هذه

[١] الإنترنت: موسوعة وكيبيديا في موقع "Google" مادة "DistrictMau".
[٢] الإنترنت: موسوعة وكيبيديا في موقع "Google" مادة "PradeshUttar".

الأهداف جميعا في إيجاد الإنسان الصالح والفعال في خدمة مجتمعه المحلي والوطني والمجتمع الإنساني بأسره، لذلك فإنه من الضروري عند دراسة شخصية من الشخصيات إلقاء الضوء على الزمان والمكان اللذين وُجِدت فيهما تلك الشخصية، وبخاصة الدعاة، والمصلحون، والأدباء والكتاب. فكما أن لهؤلاء العلماء أثراً واضحاً في مجتمعاتهم وأهل عصرهم تربيةً، وإصلاحاً، ونشراً للخير والفضيلة، فإن للعصر وأحداثه -أيضاً- تأثيراً بالغاً فيهم، وذلك من حيث نوع المشكلات والأدواء التي يهتمون بمعالجتها، والطريقة التي يسلكونها في ذلك.

ولذا رأينا أن نضع أمامنا الملابسات والأوضاع المختلفة التي عاشها الدكتور الأزهري، لأنها أدل على شخصيته وتزيل الخفاء والغموض منها ومن كتاباته، ويتسنى للدارس أن يعرفه حق المعرفة وهو كما قلنا فتح عينيه بمدينة "مئونات بنجن" وهي تبعد عن دلهي عاصمة الهند بنحو ٧٠٠ كيلو متر في اليوم الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٣٩م.[٣]

وإن هذه المدينة معروفة منذ قرون بصناعة النسيج من جانب، لا سيما ملابس النساء الهنديات الخاصة التي تسمى ب"ساري" وبكونها مركزا للعلم وموطنا للعلماء من جانب آخر، فإنه لا يخفي علي المتتبع للحركة العلمية وسيرها في الهند أن "مئونات بنجن" قد اشتهرت في ولاية أترابراديش خصوصا وفي الهند عموما بنشاطاتها الثقافية وسمعتها العلمية منذ قرون مديدة، وكان اهتمام العلماء الكرام والكتاب العظام بالعلم والثقافة دافعا قويا لهذا الرقي العلمي والوعي الثقافي ويظهر هذا الاهتمام منهم في إنشاء المدارس التعليمية والمراكز الثقافية عبر القرون الماضية، التي فتحت الأبواب على مصراعيها لقبول الطلبة من أنحاء البلاد المختلفة ووفرت لهم جميع التسهيلات من الطعام والسكن. فللمدارس في هذه البقعة التاريخية دور فعال في خدمة العلم وطلابه، وتخريج نخبة من خيرة العلماء والكتاب، ولوجود عدد كبير من المدارس العربية والمراكز الدينية مازالت ولاتزال من أكثر المدن تطورا وازدهارا في مجال الثقافة العربية والإسلامية، فهي عامرة منذ قدم الزمن بالعلماء والدعاة والأدباء والكتاب وبالمعاهد العلمية والمراكز الأسلامية. من أهمها الجامعة العالية العربية، والجامعة الإسلامية التي تسمي أيضا بـ"مدرسة فيض عام"، والجامعة الأثرية دار الحديث

---

[٣] مجلة "صوت الأمة" نوفمبر ٢٠٠٩م ص:٨.

وغيرها من المعاهد العلمية والمراكز الإسلامية العربية التي انتشرت سمعتها في الهند وتخرج فيها منذ نشأتها ألوف الطلبة الوافدين إليها من مختلف ولايات الهند ثم رجعوا إلي أوطانهم دعاة هداة، عاملين في مجال التعليم والتربية، والدعوة والإرشاد، والتصنيف والتأليف، فهذة المنطقة العلمية الثقافية أنجبت عددا كبيرا من العلماء الكبار والكتاب العظام وأخصهم بالذكر المحدث الكبير العلامة عبد الرحمن المباركفوري مؤلف "تحفة الأحوذي"، وعبد السلام المباركفوري، والحافظ عبد الله المحدث الغازيفوري، وحبيب الرحمن الفيضي المئوي، وفيض الله المئوي، وأبو المكارم المئوي، وملا حسام الدين المئوي، ومجاز الأعظمي، وفضا ابن فيضي، والعلامة شبلي النعماني، وعبد السلام الندوي، وضياء الدين الإصلاحي وغيرهم من العلماء والشعراء والمؤلفين والمصنفيين الذين أطفئوا عطشهم العلمي والديني والأدبي في هذه المنطقة فأصبحت بذلک مدينة "مئونات بنجن" بأن تسمى بـ"بغداد الهند"، وإن الدكتور الأزهري ولد وترعرع في هذه البيئة المتعطرة بنفحات العلم والثقافة والمليئة بأصحابها ومراكزها وقضى فيها سنواته الدراسية البدائية، وتلقي الدراسات الإسلامية والعربية في المدارس الإسلامية والمراكز الدينية المختلفة فيها وأتقن العلوم الإسلامية والأدبية.

وإنه وجد بيئات علمية تحمل طابعا متميزا من مقومات وأسس النهوض الفكري والتطور الحضاري وعايش أجواء علمية في مراكز علمية عريقة كانت تشهد أوج عطائها وعنفوانها، وأزهى أيامها من ازدهار لحلقات العلم وتنوعها في مجالات الشريعة والأدب بشعره ونثره تحت رعاية كوكبة من المشايخ والأساتذة البارزين، منهم من نهل علومه في مدينة "مئونات بنجن ومنهم من كان عصامي التكوين ومنهم من رجع من رحلات علمية شملت أرجاء الهند وأصقاع العرب. فشكل كل ذلک باكورة من التجارب ذات مشارب عديدة استفاد منها الدكتور الأزهري، يضاف إلى ذلک أن هذه المراكز العلمية كانت تحتوي على أنشطة ثقافية تجعل من مواهب الشباب تتفتق وتبرز من خلال منتديات وحلقات ولقاءات دورية للتدرب على الخطابة والكتابة. هذا ما أحدث تنافسا علميا بين الطلبة في نيل قصب السبق في تلک المسابقات والدورات الثقافية.

هذا عن الأوضاع العلمية البدائية التي ترعرع فيها الفقيد الدكتور الأزهري، وإذا انتقلنا إلى البيئة العلمية التي قضاها في جامعة الأزهر فإنها تزداد أهمية عن سابقتها من زخم فكري وتنوع معرفي في حلقات علمية حافلة، يقودها علماء أجلاء ومشايخ أكفاء أو تواتضلعا في علوم الشريعة والأدب ونهلوا علومهم من مختلف المعاهد والجامعات في أرجاء بلاد العالم الشاسعة، وبعد انتقال أديبنا الأزهري إلى القاهرة سمح له مستواه ونضجه الذي بلغه بعد مراحل التلقي التي قضاها في مسقط رأسه من الاحتكاك بالنخبة العلمية أن يوسع أفقه العلمي وينمي قريحته الأدبية عن طريق المحافل العلمية والأدبية التي تزخر بها أرجاء مصر عموما والقاهرة خصوصا، هذا ما زاده بسطة في العلم والمعرفة وتوسيعا في المدارك وصقلا للمعارف، فنضج عقله واستقام عوده وتوسعت ثقافته.

كان للبيئة التي نشأ فيها الدكتور الأزهري وانطلاقه إلى العالم العربي للاستزادة من العلم والمعرفة أثر كبير في صياغة أسلوبه الكتابي واختيار موضوعه في التأليف والتصنيف والمقالات والبحث والتحقيق، فقد استطاع من خلال إقامته في مصر أن يمتزج بحضارات وثقافات عربية مع ثقافته الهندية، الأمر الذي حدا به أن يعالج القضايا الهندية والقضايا العربية الإسلامية بما شاهده وعايشه وخبره أثناء إقامته هناك، فجاءت تأليفاته ومقالاته الأدبية لتناقش قضايا المنطقتين وعمد إلى معالجة القضايا العربية بجانب القضايا الهندية. ويدل علي ذلک اختيار موضوعه للتأليف مثل "نظرة إلي مواقف المسلمين من أحداث الخليج" و "مشكلة المسجد البابري في ضوء التاريخ والكتابات المعاصرة" وللمقال مثل "رد فعل الصحافة العربية علي الحادث الأمريكي" لأن الأديب - كما قيل - ابن بيئته ومرآة عصره، فهو يتأثر بالبيئة والوسط ومنها يستقى مكونات نشأته، ويصبغ منها حروفه الأولي التي تظهر في موهبته، ثم يصقل ذلک بالعلم والمعرفة، ويزيدها بروزا باتساع الثقافة والخبرة والاستمرارية في العطاء والاستفادة من النقد البناء بتواصله مع أصحاب التخصص والتميز والسبق الإبداعي بالحوار والنقاش الأخلاقي لتبادل الرأي والخبرة ومحاولة الارتقاء، فالبيئة بشكل مباشر أو غير مباشر تلعب دورا هاما في تكوين مزيجه الفكري وتوجهه ونظرته للأمور، كما أن الأدب بكل مسمياته يجب أن يشارک في بناء الحياة وصناعة المفاهيم ومعالجة الأمراض، وإلا سيبقى منعزلا في برج عاجي يحاكي الأحاسيس بالصور كجنوح خيال لا أكثر فيبتعد بها عن

الواقع ويبقى محلقا، لذلك إن البيئة والأحوال الاجتماعية تتمثل في شعر الشعراء وأدب الأدباء في كل زمان ومكان، كما نجد ذكر "حادثة دانشواي" في منظومة حافظ ابراهيم ونجد قرطبة ماثلة في شعر شعرائها، ونجد الحجاز مصورة في شعر شعرائها، ونجد المتنبي يتأثر ببيئاتٍ يمر عليها؛ نجده يصف تلك متأثراً بها. فالأديب الحقيقيّ من يتأثر بما حوله تأثر الموجب وليس المقلّد، فنجد الدكتور الأزهري الذي قضي معظم حياته في التأليف والترجمة وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات، كانت موضوعات مقالاته وتأليفاته تعكس أيضا الأحوال الاجتماعية والأوضاع السائدة في ذلك الوقت بسبب تأثره بالبيئة والمحيط.

دور الدكتور الأزهري في الصحافة

ارتباطه بالصحافة:

إن الدكتور الأزهري قد اهتم بالصحافة عامة وبالصحافة العربية خاصة، ومن الطبيعي أن يؤثر فيه البيئة العلمية والأدبية التي وجدها في جامعة الأزهر، وكذا عمله كمترجم ومذيع في "إذاعة القاهرة" لسنتين أثناء قيامه في مصر.[٤] ولما رجع إلي وطنه بعد الحصول علي شهادة الماجستير في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٦٧م كانت الجامعة السلفية قد تأسست، وبدأت الدراسة فيها عام ١٩٦٦م، فألح عليه المسؤولون للعمل في الجامعة، فاستجاب لدعوتهم، وباشر العمل في الجامعة في يوم السبت الموافق للحادي عشر من شهر شوال ١٣٨٧ للهجرة المصادف الثاني عشر من شهر يناير ١٩٦٨م، وقد قام الدكتور بإنشاء مجلة عربية بالتعاون مع زملاء التدريس، وظل رئيسا لتحريرها منذ إنشائها حتي وفاته، عرفت هذه المجلة في أوقات مختلفة بأسماء مختلفة لظروف قانونية، فمن مجلة "صوت الجامعة" إلي "صوت الجامعة السلفية"، ومنها إلي "نشرة الجامعة السلفية"، وأخيرا استقر اسمها علي مجلة "صوت الأمة"، وكانت أنشئت المجلة في شعبان ١٣٨٩ من الهجرة المصادف نوفمبر ١٩٦٩م واستمرت في الصدور منذ ذلك الوقت من غير انقطاع بتوفيق من الله سبحانه ثم بجهود الفقيد المضنية.[٥]

---

[٤] نور توحيد نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٩ ص: ٣٠.

[٥] صوت الأمة نوفمبر ٢٠٠٩ ص: ٤-٥.

إنه واصل كتابة "الافتتاحية" لهذة المجلة منذ نشأتها عام ١٩٦٩م، بجانب المقالات في الجرائد والمجلات التي بلغ عددها زهاء خمسمائة مقال في العربية والأردية. وكذا فوض إليه الإشراف علي "إدارة البحوث الأسلامية" التي بلغت إصداراتها أكثر من أربعمائة كتاب مابين صغير وكبير ومجلدات في العربية والأردية والهندية والانجليزية، وكتب الدكتور علي أغلب هذه الكتب مقدمات نفيسة تحت عنوان "كلمة الناشر". [٦]

نبوغه في الصحافة:

تبوأ الدكتور الأزهري مكانة عالية في الصحافة العربية ندر من نافسه فيها، فهو يقف بين أعلامها، وكلهم هامات سامقة، وعلما شامخا وقمة باذخة، يبدو لمن يقترب منه كقمة الهرم الراسخ لا ترقى إليه إلا من قاعدته الواسعة، واجتمع له ما لم يجتمع لغيره من المواهب والملكات في مجالات شتى من الكتابة والترجمة والصحافة.

إنه نذر حياته في صناعة القلم، وهذه الصناعة ميدانها الصحافة التي تستغرق حوالي أربعين سنة. إنه كان صحافيا بارعا بعيد النظر واسع الفكر يتناول جميع القضايا المتعلقة بالملة الإسلامية، ويفكر دائما لمصالحها، وحل مشاكلها، وإنه عالج الصحافة الهادفة البناءة، وانتقد الصحافة التي تستهدف السمعة فحسب وفقدت أهدافها الميمونة وانحرفت عن سواء السبيل. إذا نلقي نظرة عابرة على مقالاته وكتاباته فنجد أنها تحمل في طيها مواد علمية، وحلاوة أدبية، ومهارة إنشائية تدل على عمق فكره وبعد نظره وتضلعه في ميدان الصحافة والكتابة. [٧]

ولا يخفى علي كل من له أدنى إلمام باللغة العربية والأدب العربي أهمية افتتاحياته التي كان يكتبها الدكتور الأزهري في مجلة "صوت الأمة" بدون انقطاع، كان يعالج فيها الموضوعات الساخنة حسب الأوضاع والأحوال الراهنة بجانب معالجة أنشطة الجامعة السلفية وتقارير الاجتماعات والمؤتمرات المنعقدة في حين وآخر في هذه الجامعة، ويحللها تحليلا دقيقا ويشرحها شرحا جميلا، على سبيل المثال حينما أرسلت حكومة إيران جيشها إلى مكة المكرمة في صورة الحجاج لإثارة الفساد والقيام بالتفجيرات في البلد الأمين، قام

---

[٦] الفرقان ابريل ٢٠٠٩ ص: ٧–٨.

[٧] ملخصا من مجلة "نور توحيد" الأردية، نوفمبر-ديسمبر ٢٠٠٩م ص: ١٨-١٩.

الدكتور الأزهري بكتابة افتتاحية تحت عنوان "هكذا تخمد الفتنة" وأوضح فيها موقف جماعة أهل الحديث والجامعة السلفية ببنارس من الثورة الشيعية، ويكتب فيها "أصرح بأن الجامعة السلفية منذ أن تأسست كانت –بعون الله وتوفيقه– على بصيرة تامة في أمر هؤلاء الضالين، ولذلك ركزت في مؤتمراتها ومنشوراتها على العناية بتصحيح عقائد المسلمين وتبصرهم بأحوال الفرق الضالة والطوائف المنحرفة التي حاولت النيل من الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، حتى يعرف المسلمون أهداف المنحرفين ويأخذوا حذرهم من الفتن والشرور التي تثار ضدهم في مجالات الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد.

نحمد الله تعالى على أن الجامعة السلفية لم تضم صوتها قط إلى أصوات الجماعات التي باركت ثورة إيران وظنت أنها ثورة إسلامية، وأن أتباع الخميني برزوا إلى الساحة لإقامة الحكومة الإلهية"، وواصل كلامه قائلا: "وضمن الإجراءات الرادعة التي قامت بها حكومة خادم الحرمين الشريفين ضد المجرمين الذين عبثوا في البلد الحرام أيام الحج وقاموا بتفجيرات عديدة لترويع ضيوف الرحمن وإزهاق أرواحهم: إعدام (١٦) من المجرمين الذين ثبتت جريمتهم بالقضاء الشرعي وتم اعترافهم بالجريمة وبكونهم مستخدمين من الفئة الباغية المفسدة للإلحاد في الحرم الشريف (صوت الأمة جمادى الأولى ١٤١٠). [٨]

مع أنه اهتم بالصحافة العربية اهتماما بالغا، لا يتخلف عن معاصريه وأقرانه في مجال الصحافة الأردية، بل أسهم فيها إسهاما هائلا، وكتب مقالات كثيرة لمجلة "محدث" الأردية الصادرة من الجامعة السلفية ببنارس، الهند. وكتب معظم الافتتاحيات لهذه المجلة الموقرة بعد انتقال فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري إلي المدينة المنورة إلى جانب نشر مقالاته في الجرائد والمجلات الأخري. هذا كله لا يدل إلا على براعته ونبوغه في الصحافتين العربية والأردية.

(يتبع)

***

[٨] مجلة السراج، العدد الخاص ٢٠١٠ ص: ٣٦-٣٧.

شخصية إسلامية

الأمير نايف رحمه الله: شخصية فريدة مؤثرة

عبد الصبور السلفي
المدينة المنورة

الحمد لله العلي القدير، الحكيم الخبير، وصلى الله على نبينا محمّد البشير النذير، وعلى آله وصحبه ومن سار على منهجهم القويم المنير.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى حكيم في أمره، خبير بخلقه، فعال لما يريد، وله ما أعطى وله ما أخذ، وقد وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله جل شأنه: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}. [الحجر: ٩].

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك".

ومن حفظ الله سبحانه وتعالى لدينه وكتابه أن هيّأ له رجالاً علماء وأمراء أفنوا أعمارهم لخدمة الإسلام، والمحافظة على مصالح المسلمين وقضايا الأمة الإسلامية في كل عصر ومصر، ومن هؤلاء الأعلام النبلاء والأفذاذ الفضلاء الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله رحمة واسعة، الذي كان غصة في حلوق أعداء الإسلام من الكفار، والملحدين، والروافض، والعلمانيين، والليبراليين، والتحريريين، والتغريبيين، وذوي الأفكار المنحرفة.

وكان الأمير نايف رحمه الله رجلاً شجاعًا، مهيبًا، فطنًا، فَهِمًا، حازمًا في أمره، حاسمًا في قراره، صلبًا في حكمه، شديدًا على أهل الخراب والفساد، عطوفًا على أهل الحق والصلاح.

وكان يحب علماء أهل السنة، ويجلهم، ويقدِّرهم، ويشاورهم في الأمر، وكان يدعو دائما إلى التمسك بمنهج السلف الصالح وعقيدتهم، ويصرح ذلك في مجالسه ومحافله وخطاباته، ولا يخاف في ذلك لومة لائم.

وقد وقف الأمير نايف رجل الأمن الأول بالمملكة العربية السعودية رحمه الله بكل حكمة وجرأة وشجاعة أمام كل تيّار يسيء إلى الإسلام والمسلمين، والوطن الإسلامي والعربي، أو يزعزع أمن بلاد الحرمين الشريفين، فكان للفقيد رحمه الله أثر كبير، وجهود

عظيمـة في قمـع الفتن، وإخماد المظاهرات العصبية، وإفشال خطط المفسدين في المملكة —حرسها الله تعالى-.

ومن مواقفه الحاسمة أنه وقف ضد حرية المرأة الزائفة واشتهر قوله في هذا الصدد: "الداعون لحقوق المرأة لا يريدون حرية المرأة، بل يريدون حرية الوصول إلى المرأة".

وقال رحمه الله أيضًا في شأن المرأة: "المرأة عزيزة علينا دينا ومواطنة، فهي الأم، وهي الأخت، وهي البنت وهي الزوجة، فليس أكرم لدى الإنسان من هؤلاء، فليس هناك أكرم من الأم ولا أعز منها، فالجنة تحت أقدام الأمهات والمرأة كريمة ويجـب أن تعـيش كريمـة وستكون كريمة إن شاء الله في هذه البلاد".

وقد وقف رحمه الله ضد قيادة المرأة للسيارة في المملكة العربية السعودية، وأيضًا أعلن للصحافة أنه لا يرى فائدة من انتخابهن أعضاء مجلس الشورى، ولا يرى جدوى في وجود النساء في المجلس.

وكان يمنع من الاختلاط بين الرجال والنساء في المحافل والمعارض وغيرها؛ لما فيه من فتنة كبيرة، وفساد عريض.

وأولى عناية فائقة بالمحافظة على عقيدة السلف الصالح، والقيم الإسلامية، وكان يحث على ذلك دائما، ويفتخر بإسلامه وعقيدته ومنهجه السلفي، كما يستدل في كلماته ومحاضراته بالآيات والأحاديث وأقوال السلف الصالح.

ومن أقواله النيرة: "إننا نؤكد لكم على أن هذه الدولة ستظل -بإذن الله- متبعة للمنهج السلفي القويم، ولن تحيدَ عنهُ ولن تتنازل، فهو مصدر عزها وتوفيقها ورفعتها، كما أنه مصدر لرقيها وتقدمها؛ لكونه يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهو منهج ديني شرعي، كما أنه منهج دنيوي، يدعو إلى الأخذ بأسباب الرقي والتقدم، والدعوة إلى التعايش السلمي مع الآخرين، واحترام حقوقهم".

وكان رحمه الله يرى أن الدستور الإلهي من الكتاب والسنة فيه كفاية، وضمان لصلاح العباد والبلاد في كل زمان ومكان، ولا حاجة إلى القوانين الوضعية التي تصادم الـشريعة الإسلامية، وتخالفها، بل كان ينتقد أحيانًا بعض عادات الغرب، ويحث على عدم الاغترار بهم، وبعاداتهم وتقاليدهم.

وكان يشجع دائمًا رجال الأمن، وأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على التمسك بالكتاب والسنة والإخلاص للإسلام والوطن، والعمل لصالحهما، وإن حصل شيء من الخطأ والنسيان، لأن الخطأ جزء لا ينفك عن كل من يعمل، فكان يقول رحمه الله: "الخطأ معرض له كل إنسان وكل من يعمل، والذي لا يخطئ معناه لا يعمل".

ومن أهم وصايا الأمير نايف رحمه الله قوله: "أقول بكل وضوح وصراحة: نحن مستهدفون في عقيدتنا، نحن مستهدفون في وطننا، أقول بكل وضوح وصراحة لعلمائنا الأجلاء، ولطلبة علمنا، ولدعاتنا، ولرجال أمرنا بالمعروف والنهي عن المنكر، وخطباء المساجد: دافعوا عن دينكم قبل كل شيء، دافعوا عن وطنكم، دافعوا عن أبنائكم، دافعوا عن الأجيال القادمة، ويجب أن نرى العمل الإيجابي، ونستعمل كل وسائل العصر الحديثة لخدمة الإسلام، ونقول الحق، ولا تأخذنا في الحق لومة لائم، فلنستعمل القنوات التلفزيونية، ولنستعمل الإنترنت، وأنتم كل وقت تقرؤون وترون ماذا فيه، أرجو لكم من الله السداد والتوفيق".

يا أخي المسلم تأمل! أين نحن من هذه الوصية الغالية؟! وماذا قدمنا لعقيدتنا؟! وكم دافعنا عن ديننا ووطننا؟! وكم اهتممنا بتربية أبنائنا وأجيالنا القادمة؟! فعلينا أن نتخذ هذه الوصية القيمة نبراسًا لنا في حياتنا العملية في المستقبل لخدمة الدين الإسلامي والعقيدة الصحيحة.

وفي الحقيقة أن الأمير نايفًا - رحمه الله - كان شخصية عالمية مؤثرة، فريدة فذة، صاحب قرار حكيم، ورأي سديد، وفهم ثاقب، وكان رحمه الله ركنًا ركينًا من أركان المملكة العربية السعودية، وبابًا مغلقًا، وحصنًا منيعًا بالدولة لكثير من الفتن والقلاقل والمصائب التي تموج موج البحر في الدول الأخرى، وبموته قد انهدم هذا السد المنيع والحصن الحصين، ولذا فرح المخالفون وأعداء الإسلام بموته فرحًا شديدًا.

ولا شك أن موته خسارة كبرى ومصيبة عظيمة للإسلام والأمة الإسلامية، وأزمة من أزمات هذا العصر، أسأل الله أن يتغمده برحمته، ويغفر له سيئاته، ويسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وأقرباءه الصبر والسلوان، ويجعل الأمير سلمان بن عبد العزيز ولي العهد — حفظه الله — خير خلف لخير سلف. آمين يا رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا.

***

آداب الطالب في حياته العلمية

(٥)

د. بكر بن عبد الله أبو زيد

٣٢– الأمانة العلمية:

يجب على طالب العلم: فائق التحلي بالأمانة العلمية، في الطلب، والتحمل، والعمل، والبلاغ والأداء.

(فإن[1] فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة فقد مس العلم بقرحة، ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة.

لا تخلو الطوائف المنتمية إلى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وأمثال هؤلاء لا تجد الأمانة في نفوسهم مستقرا، فلا يتحرجون أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم إلى نقد الرجال، وتمييز من يسرف في القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه، فلا تخفى عليهم منزلته، من القطع بصدقه أو كذبه، أو رجحان أحدهما على الآخر، أو احتمالها على سواء) اهـ.

٣٣– الصدق[2]:

صدق اللهجة: عنوان الوقار وشرف النفس ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة، ولهذا كان فرض عين، فيا خيبة من فرط فيه، ومن فعل فقد مس نفسه وعلمه بأذى.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم، وقال وكيع رحمه الله تعالى: هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق. (رواهما الخطيب في الجامع)[3].

---

[1] رسائل الإصلاح ١/١٣.

[2] فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/٧٤–٨٥.

[3] الجامع ١/٣٠٤، ٢/٧.

فتعلم — رحمک الله — الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق: إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالک ووديان، يجمعها ثلاثة [1]:

١— كذب المتملق: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق لمن يعرفه فاسقا أو مبتدعا فيصفه بالاستقامة.

٢— وكذب المنافق: وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

٣— وكذب الغبي: بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد، كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفه بالولاية.

فالزم الجادة "الصدق" فلا تضغط على عكد اللسان، ولا تضم شفتيک، ولا تفتح فاک ناطقا إلا على حروف تعبر عن إحساسک الصادق في الباطن كالحب والبغض أو إحساسک في الظاهر كالذي تدركه الحواس الخمس: السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس.

فالصادق لا يقول: أحببتک وهو مبغض، ولا يقول: سمعت وهو لم يسمع، وهكذا، واحذر أن تحوم حولک الظنون فتخونک العزيمة في صدق اللهجة فتسجل في قائمة الكذابين.

وطريق الضمانة لهذا: - إذا نازعتک نفسک بكلام غير صادق فيه — أن تقهرها بذكر منزلة الصدق وشرفه، ورذيلة الكذب ودركه، وأن الكاذب عن قريب نكشف واستعن بالله ولا تعجزن.

ولا تفتح لنفسک سابلة المعاريض في غير ما حصره الشرع.

فيا طالب العلم! احذر أن تمرق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، وأسوأ مرامي هذا المروق "الكذب في العلم" لداء منافسة الأقران، وطيران السمعة في الآفاق.

ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالا يحملون بصائر نافذة وأقلاما ناقدة فيزنون السمعة بالأثر فتتم تعريتک عن ثلاثة معان:

١— فقد الثقة من القلوب.

٢— ذهاب علمک وانحسار القبول.

---

[1] رسائل الإصلاح ١/٩٥—١٠٥ مهم.

٣–أن لا تُصدق ولو صدقت.

وبالجملة فمن يحترف زخرف القول فهو أخو الساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى [(١)] والله أعلم.

٣٤– جنة طالب العلم:

جنة العالم "لا أدري"، ويهتك حجابها: الاستنكاف منها، وقوله: يقال... وعليه: فإن كان نصف العلم: لا أدري، فنصف الجهل "يقال، وأظن" [(٢)].

٣٥–المحافظة على رأس مالك "ساعات عمرك":

الوقت الوقت للتحصيل، فكن حِلْف عمل لا حلف بطالة وبطر، وحلس معمل لا حلس تلة وسمر، فالحفظ على الوقت بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءة وإقراء ومطالعة، وتدبرا، وحفظا، وبحثا، لاسيما في أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية لتنال رتب العلم العالية، فإنها "وقت جمع القلب، واجتماع الفكر"، لقلة الشواغل، والصوارف عن التزامات الحياة، والترؤس، ولخفة الظهر والعيال:

ما للمعيل وللعوالي إنما ... يسعى إليهن الفريد الفارد

وإياك وتأمير التسويف على نفسك، فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد "التقاعد" من العمل هذا، وهكذا، بل البدار قبل أن يصدق عليك قول أبي الطحان القيني:

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيدا أني بقيد

وقال أسامة بن منقذ:

مع الثمانين عاث الضعف في جسدي ... وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
إذا كتبت فخطي خط مضطرب ... كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما ... من بعد حمل القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته ... هذي عواقب طول العمر والمدد

فإن أعملت البدار فهذا شاهد منك على أنك تحمل "كِبَر الهمة في العلم".

---

(١) المرجع قبله.

(٢) التعالم ص٣٦.

٣٦- إجمام النفس:

خذ من وقتك سويعات تُجمُّ بها نفسك في رياض العلم من كتب المحاضرات "الثقافة العامة"، فإن القلوب يروح عنها ساعة فساعة، وفي المأثور عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أجموا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان[1]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حكمة النهي عن التطوع في مطلق الأوقات[2]:

(بل في النهي عنه بعض الأوقات، مصالح أخر من إجمام النفوس بعض الأوقات، من ثقل العبادة، كما يجم بالنوم وغيره، ولهذا قال معاذ: إني لأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي...)

وقال[3]: بل قد قيل: إن من جملة حكمة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات: إجمام النفوس في وقت النهي لتنشط للصلاة، فإنها تنبسط إلى ما كانت ممنوعة منه، وتنشط للصلاة بعد الراحة. والله أعلم) اهـ.

ولهذا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمد بعيد، وكان الأغلب فيها، يوم الجمعة، وعصر الخميس وعند بعضهم، يوم الثلاثاء، ويوم الاثنين، وفي عيدي الفطر والأضحى من يوم إلى ثلاثة أيام وهكذا. ونجد ذلك في كتب آداب التعليم وفي السير. ومنه على سبيل المثال: آداب المعلمين لسحنون ص ١٠٤، والرسالة المفصلة للقابسي ص ١٣٥-١٣٧، والشقائق النعمانية، ص: ٢٠، وعنه في أبجد العلوم: ١/١٩٥-١٩٦، وكتاب أليس الصبح بقريب للطاهر ابن عاشور، وفتاوى رشيد رضا: ١٢١٢، ومعجم البلدان ٣/١٠٢، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٥/٣١٨-٣٢٠، ٣٢٩.

٣٧- قراءة التصحيح والضبط:

احرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخ متقن، لتأمن من التحريف والتصحيف والغلط والوهم.

وإذا استقرأت تراجم العلماء -وبخاصة الحفاظ منهم- تجد عددا غير قليل ممن جَرَدَ المطولات في مجالس أو أيام قراءة ضبط على شيخ متقن.

---

[1] جامع بيان العلم وفضله.

[2] مجموع الفتاوى ٢٣/١٨٧.

[3] مجموع الفتاوى ٢٣/٢١٧.

فهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس، كل مجلس عشر ساعات، وصحيح مسلم في أربعة مجالس في نحو يومين وشيء من بكرة النهار إلى الظهر، وانتهى ذلك في يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة ٨١٣هـ، وقرأ النسائي الكبير في عشرة مجالس وانتهى في يوم عاشوراء عام ٨١٤هـ. وقرأ سنن ابن ماجه في أربعة مجالس، ومعجم الطبراني الصغير في مجلس واحد، بين صلاتي الظهر والعصر.

وشيخه الفيروز آبادي قرأ في دمشق صحيح مسلم على شيخه ابن جهبل قراءة ضبط في ثلاثة أيام. وللخطيب البغدادي والمؤتمن الساجي، وابن الأبار وغيرهم في ذلك عجائب وغرائب يطول ذكرها، وانظرها في: السير للذهبي ١٨/٢٧٧، ٢٧٩، ١٩/٣١٠، ٢١/٢٥٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٣٠، والجواهر والدرر للسخاوي ١/١٠٣–١٠٥، وفتح المغيث ٢/٤٦، وشذرات الذهب ٨/١٢١، ٢٠٦، وخلاصة الأثر ١/٧٢–٧٣، وفهرس الفهارس للكتاني، وتاج العروس ١/٤٥–٤٦.

فلا تنس حظك من هذا.

٣٨– جرد المطولات:

الجرد للمطولات من أهم المهمات، لتعدد المعارف وتوسيع المدارك، واستخراج مكنونها من الفوائد والفرائد، والخبرة في مظان الأبحاث والمسائل ومعرفة طرائق المصنفين في تآليفهم واصطلاحاتهم فيها.

وقد كان السالفون يكتبون عند وقوفهم "بلغ" حتى، لا يفوته شيء عند المعاودة، لاسيما مع طول الزمن.

٣٩– حسن السؤال:

التزام أدب المباحثة من حسن السؤال، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصل الجواب أن تقول: لكن الشيخ فلان قال لي: كذا، أو قال: كذا، فإن هذا وهن في الأدب، وضرب لأهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا.

وإن كنت لابد فاعلا فكن واضحا في السؤال. وقل: ما رأيك في الفتوى بكذا، ولا تسم أحدا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [1]:

---

[1] مفتاح دار السعادة ص١٨٤.

(وقيل: إذا جلست إلى عالم فسل تفقها لا تعنتا) اهـ.

وقال أيضا:

(وللعلم ست مراتب: أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة: وهي ثمرته: العمل به ومراعاة حدوده) اهـ. ثم أخذ في بيانها ببحث مهم.

٤٠- المناظرة بلا ممارات [1]:

إياك والمماراة فإنها نقمة، أما المناظرات في الحق فإنها نعمة، إذ المناظرة الحقة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح فهي مبنية على المناصحة، والحلم ونشر العلم، أما المماراة في المحاورات والمناظرات فإنها تحجج ورياء، ولغط وكبرياء، ومغالبة ومراء، واختيال وشحناء، ومجاراة للسفهاء، فاحذرها واحذر فاعلها تسلم من المآثم وهتك المحارم، واعرض تسلم وتكبت المأثم والمغرم.

٤١- مذاكرة العلم:

تمتع مع البصراء بالمذاكرة والمطارحة، فإنها في مواطن تفوق المطالعة وتشحذ الذهن وتقوي الذاكرة، ملتزما الإنصاف والملاطفة، مبتعدا عن الحيف والشغب والمجازفة. وكن على حذر فإنها تكشف عوار من لا يصدق. فإن كانت مع قاصر في العلم بارد الذهن فهي داء ومنافرة، وأما مذاكرتك مع نفسك في تقليبك لمسائل العلم فهذا ما لا يسوغ أن تنفك عنه.

٤٢- طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومهما:

فهما له كالجناحين للطائر، فاحذر أن تكون مهيض الجناح.

٤٣- استكمال أدوات كل فن:

لن تكون طالب علم متقن متفنن، حتى يلج الجمل في سم الخياط ما لم تستكمل أدوات ذلك الفن، ففي الفقه بين الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية وهكذا، وإلا فلا تتعن.

قال الله تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته} فيستفاد منها أن الطالب لا يترك علما حتى يتقنه. [2]

***

[1] وانظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/١٧٢-١٧٤.

[2] شرح الإحياء ١/٣٣٤.

من أخبار الجامعة

حفل افتتاح
ندوة طلبة الجامعة السلفية

عقدت ندوة طلبة الجامعة السلفية حفل افتتاحها في الساعة التاسعة من يوم الخميس ٢١/ شعبان ١٤٣٣هـ = ١٢ / يوليو ٢٠١٢ في قاعة المحاضرات بالجامعة برئاسة فضيلة الشيخ عبدالوهاب الحجازي ، حفظه الله ، عضو هيئة التدريس بالجامعة ومدير مجلة محدث الأردية. وكان الحفل مشتملا على الفقرات التالية:

- تلاوة القرآن الكريم: الطالب أسعد الرحمن بن جمال الدين من السنة الأولى للفضيلة
- قصيدة في الثناء على الله تعالى: الطالب سعيد الرحمن بن حفيظ الله من السنة الثانية للفضيلة
- قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم: الطالب فرحان أحمد بن جمال الدين من السنة الأولى من الفضيلة
- أنشودة الجامعة: الطالب ذبيح الله بن سليم الله وزملاؤه
- التعريف بندوة الطلبة ونشاطاتها: الطالب محمد حامد بن محمد شفيع من السنة الثانية للفضيلة
- كلمة باللغة العربية حول موضوع: فضل العلم والتعلم وآداب المتعلم، الطالب أسامة بن فخر الدين من السنة الثانية للعالمية
- كلمة باللغة الأردية حول موضوع: غذاء الروح الطيبة، الطالب عزير أحمد بن نور الهدى من السنة الثانية للعالمية
- كلمة باللغة الانجليزية حول موضوع: الأخلاق الإسلامية، الطالب برويز عالم بن بهولا ميان من السنة الثالثة للفضيلة
- كلمة باللغة الهندية حول موضوع: تعاليم الإسلام النيرة، الطالب محمد نثار بن محمد ياسين من السنة الثانية للعالمية

يجدر بالذكر أن ندوة الطلبة تعقد حفلا أسبوعيا في كل يوم الخميس للتدريب على الخطابة، حيث يوزع الطلاب إلى مجموعات، وهذه المجموعات تتدرب أسبوعيا تحت إشراف أساتذة الجامعة، وقد خصص يوم الخميس لهذا التدريب.**